طيف أحمر بين ظلال
ليلى محمود
نوفيلا
By: Safa Mahmoud

نوفيلا

طيف أحمر بين ظلال

ليلى محمود

بقلم

ليلى محمود

تصميم الغلاف: صفا محمود

تصميم داخلي: ندى عثمان

تعبئة وتنسيق: ليلى محمود

جروب حلم-هن

"ولنا مع الحرف حلم"

للانضمام للجروب

https://www.facebook.com/groups/7elmhon/

حلم-هن

الإهداء

إلى كل من آمن بي عندما كفرت بي نفسي

إلى من لفتته كلماتي فقرر أن يقرأ

إلى الأحلام و البدايات و الأمل

إلى أول خطوة التي ترددت طويلا حتى خطوتها بتردد

إلى أهلي وأحبابي وكل من ثابر على الدعاء من أجلي

إلى شخصياتي الواقفة في انتظار الدور والتي يوما لم تتخلى عن القبوع في مخيلتي على أمل، إليّ و إلى خوفي و جنوني

و لا أنسى، إلى قطي المدلل

أهديكم جميعا عملي الأول

بعض الأفكار صلوات، هناك لحظات تكون فيها النفس جاثية على ركبتيها مهما كان وضع الجسد

– فيكتور هوجو

حيث تقبع البداية

كنت ضائعة بين أروقة رواية التقطها من أحد أرفف المكتبات وأنا في طريقي إلى المنزل، فتحتها لأتجول بين دفتيها مبدأيا ، أردت أن أتعرف إلى أي نوع من المغامرات تنتمي مغامرتي الجديدة، أغلقت الكتاب مجددا لأضغطه بين كفيّ و أغمضت عينيّ أدعو بشدة أن يحالفني الحظ فيما سأقرأ.

عدت وفتحته، صدمتني مقدمة طويلة فتجاوزتها، بالطبع فأنا أبدا لا أقرأ مقدمات، أعاملها كتدخل فظ بيني وبين القصة يبطئ استمتاعي قبل الدلوف إلى الأحداث، هل تعلمون هذا الشعور؟ إنه مثل الوقوف في مدينة الألعاب لانتظار دورك بعد صف طويل لتحظى بمرح اللعبة

ملهمون

اخيرا؛ وبالمناسبة الانتظار أيضا أمر لا أحبه؛ وبالتالي سيتم تجاهل المقدمة بنجاح...

انتبهت عندما سمعت صوت صفير القطار آتٍ من بعيد، اجتمع الناس في المحطة استعدادا للركوب، شعرت ببعض التوتر مما كنت بصدده فهذا القطار لا يشبه أي قطار، هذا القطار له قواعد وهي سهلة للغاية، عربة لكل مسافر و في كل محطة يمر القطار فيها يقابل مسافرا جديدا ينضم إليه.

حملت متاعي وها أنا على أهبة الاستعداد، الجزء الصعب كان التدافع وبالتالي انتظرت قليلا قبل الصعود.

وصلت إلى عربتي، كانت فارغة، مما يعني أنني المحطة الأولى! عظيم، ذهبت إلى مقعد بقرب النافذة الزجاجية الواسعة، وضعت متاعي حيث تنتمي في رفوف أعلى المقاعد، أمامي كانت طاولة صغيرة يمكنني أن أحركها أفقيا أو رأسيا حسب الرغبة، كان مقعدي من أصل أربعة

مقاعد في العربة، واسعة مقسمة بفواصل ضيقة، وثيرة، مريحة، ذات مساند.

بدأ القطار بالتحرك عندما دلف إلى عربتي شخص آخر فجأة، فتحت فمي وكدت أصرخ به أن ما يفعله ضد القوانين فطلب مني الهدوء، "لا داعي للقلق"، قال، ثم تابع يخبرني بابتسامة باردة وأعين ناعسة أنه ليس بغريب، بل هو عامل في القطار يخص كل مسافر، يظل جالسا في الخلف ليتأكد من وصول مسافره بسلام حيث وجهته، ووجوده يكاد يكون غير ملحوظ.

قلت:

أي نوع من الهراء هذا، القطارات معروفة نصعد حينما تصل و نهبط عندما نصل، هكذا الأمر ببساطة، ما هو الصعب؟

ضحك العامل وهو يجيب:

- هذا القطار غير، أنا من يحدد وجهتك ألم تقرأي التعليمات؟ يحق لك اجراء الأحاديث إذا أردتِ، إياكِ والكذب على عامل القطار، لا يحق لك ترك العربة تحت أي ظرف لاقتحام عربة أخرى، الطعام هنا و الماء هنا ايضا، لا تبالغي في التبذير، لا يحق لك أبدا الاعتراض على نزول أي مسافر آخر من العربة، و قَسَم حروف الكلمة ضاغطا على كل حرف على حدى أ ب دا-نن-!!

البقاء يعني تمسك و الرحيل نهاية.

رفع قبعته و أشار بسبابته ووسطاه من جبهته إلى الهواء ثم تابع طريقه متجاوزا الممر وصولا إلى المقعد الأخير ليتخذ مكانه بجوار النافذة، لاحظ نظراتي شزرا نحوه فلوح بيده و هو يبتسم ثم أخفى وجهه تحت قبعته السوداء.

حدقت به للحظات بامتعاض و أنا أقول لنفسي يا لكَ من عامل مُجد للغاية! التفتُّ لأرتمي على مقعدي، أغمضت عيني وتنهدت طويلا ثم فتحتهما مجددا لأراقب النافذة، على الطريق من الجانبين كانت المناظر تتغير بين خضراء يانعة تسر الناظرين وحزينة قاتمة كئيبة، و أنا جالسة أشاهد.

مندفعة بالفضول والحماس، أردت استكشاف القادم، رسمت في مخيلتي كل الأشخاص الذي يحتمل لقائهم قبل اللقاء، كيف سأتصرف، ماذا عليّ أن أقول، رأيت نقاشاتي وكيف تسير كل المحادثات في الإتجاه الذي أريده بالضبط، فكنت رائعة هناك داخل مسرح عقلي كدت أصفق لنفسي.

قهقهت ضاحكة، شعرت بأن حركة القطار أصبحت أبطأ وكان اللقاء الأول.

العبقري الصغير

ظهر اول شخص يشاركني عربتي مع الوصول إلى المحطة الثانية، كان صبيا صغيرا، شعرت ببعض الريبة، تبادلنا بعض النظرات التي لا تخلو من فضول في صمت تام دون أن يعلق هو بأي شيء، تعجبت من أمره فأين والداه؟ توقفت عن التساؤلات ووجهت إليه السؤال:

- أيها الصغير اللطيف، أين والداك؟

أجابني باقتضاب مقوسا شفتيه:

- لماذا تحدثيني بهذه اللهجة وبهذ الصوت المزعج؟ لا تناديني بصغير أنا لست طفلا ألا ترين؟

رفعت حاجبيّ تعجبا، هذا الصغير وقح بعض الشيء، رجحت السبب أنني مجرد غريبة عنه لا يعرفني لابد أنه

يشعر بالخوف، ابتلعت فعله على مضض وكررت السؤال بصوتي المعتاد.

فأجاب بينما شرد يحدق في نافذته:

- بعيد! بدى وجهه الصغير حزين للغاية، له شعر بني أشقر و بشرته بيضاء مشربة بحمرة ظريفة، اتخذ مقعده بمحاذاة مقعدي بفارق الممر قرب النافذة المقابلة، أدار وجهه ليقابلني وقال:

- أنا طفلهما الوحيد، أبي و أمي يحباني كثيرا يقلقان علي طوال الوقت لكنهما بعيدين عني أكثر، اكفهر وجهه، رفع كتفيه ثم اعتدل في جلسته عاقدا ذراعيه أمام صدره باعتراض.

سألته:

- كيف؟!... تقول بأنهما بعيدان، فماذا تقصد؟

زفر بانفعال قائلا وهو يحرك ذراعيه معبرا:

- هما مزعجان، قلقهما الدائم يبقي كل من حولي بعيدا عني، كلما حاولت اللعب مع طفل آخر تغضب أمي بشدة، تعرفين؟ تظل تخبرني دائما بأنني طفل عبقري للغاية ولا يجب أن أضيع وقتي في اللعب مع باقي الأطفال، حذرتني أن هذا سيجعلني أقل ذكاءا ثم منعتني من الاختلاط إلا بها و بأبي و المعلم.

مد شفتيه نحو الأمام، لاحظت ارتعاشهما، كان منزعجا، أخد ينفخ بغضب ثم تابع حديثه:

- لو خيرتني بين الذكاء الحاد و حصولي على صديق، سأختار الصديق و أن أمضي وقتي بكثير من المرح، لا يهم إن أصبح ذكائي أقل، لا يهم حتى لو أصبحت غبيا، أنا... أحسد باقي الأطفال.

أشفقت على حاله ولاحظت الغضب الذي يحبسه داخله، كنت أعرف هذه القصة جيدا، والدان يفكران في مستقبل طفلهما بصرامة ويهملان حاضره فيكبر وحيدا بلا أصدقاء، يحقق بعض الانجازات وكثير من البؤس وذكريات قليلة يتحدث عنها بتكرار ممل ولا سبيل آخر فقصصه المكررة تلك هي كل ما يملكه مع بعض من الإحباط، وكأنهما يملكان الزمن، مسكين!

سألته وقد أحزنني حاله:

- هل أخبرتهما بهذا؟ ربما يبالغان في أفعالهما لكنك لا تعترض و إن لم تفعل، إن لم تتحدث كيف يعرفان حقيقة شعورك؟

اتسعت عيناه ورفع حاجباه عاليا وهو يحدق بي ثم قال:

- يا إلهي، أنت غبية للغاية، هل حقا تظنين أنني لم أفعل؟

هما لا يستمعان، يعاملاني كطفل لا يعرف ما هو الأفضل له فحسب.

انتقل ذهوله من سؤالي "الغبي على قوله" إلى وجهي، قلت له بصيحة اعتراض وقد استفزتني كلماته:

أهكذا تتحدث من هم أكبر منك سنا في العادة؟ هذا عيب يا صغير! عليك أن تعتذر عن قولك فقد ازعجتني.

أشاح بنظره بعيدا ولوح بذراعه ثم تمتم:

- مُتوقع، فأنا في العادة لا أحدث أحدا، لا أعلم ما يزعج وما لا يزعج، حتى جدي وجدتي... لا ... أحد! ثم أنتِ لستِ أمي لا تأمريني بأشياء، مفهوم؟

أعطيته نظرة جانبية وأنا أتظاهر بالبرود:

- لأنني لست أمك ولأنني حريصة على أن نكمل حديثنا الدائر هذا أخبرك أن تعتذر أولا، ربما تتحمل أمك سوء

أفعالك لأنها أمك أما أنا فغريبة، لو تحملت أنا للطفي غيري لن يفعل، و لست مجبرة على فعل هذا.

حدق بي من أخمص قدميّ مرتفعا نحو رأسي، رفع شفتيه بازدراء قائلا:

- أنتِ من بدأ الحديث أصلا.

- فعلت و أنت أردت أن تتحدث، يجدر بك أن تتأدب يا ولد!

عقد ما بين حاجبيه بشدة وصاح:

- لا تناديني ولد! لماذا تزعجيني؟

وضعت خنصري في أذني وقلت:

- لا اعتذار إذن لا حديث.

قال بإصرار:

- فليكن، لن أعتذر!

قلت له بإصرار أكبر:

- حسنا، ابقى هادئا لانني لن أتعاطى مع قلة التهذيب هذه أكثر.

عقدت ذراعي أمام صدري مثلما فعل و أشحت بنظري بعيدا عنه، تابعت النظر من نافذتي و استرقت النظر إلى عامل القطار، كان على حاله نائما لا يتحرك، نهضت أبحث عن بعض الطعام، كانت الخزانة مملوءة به، في جانب وُضعت كل أنواع الخضر و اللحوم و الفاكهة، وفي الآخر أطعمة جاهزة سريعة التحضير... بالطبع كان الخيار الأسهل هو خياري.

جفلت حينما سمعت صوت الطفل يحدثني فجأة قائلا:

- الوجبات السريعة سيئة، الوجبات الصحية المُعدة منزليا أفضل! تقول أمي أنها تغذي العقل و هي أكثر فائدة ونظافة من متعة تلك الوجبات الزائفة.

ملهمون

تجاهلته عمدا وعدت لأجلس، تحدثت بصوت مسموع:

- ما هذا الصوت هل أسمع اعتذار؟ لا، انذار كاذب، لا اعتذار لا حديث.

نفخ بحنق ثم تراجع قائلا:

- كما تشائين أقول هذا من أجلك، ستسمني ثم تصابين بأمراض في القلب وبعدها يأتي الندم ولا ينفع.

حدقت بعينيه مباشرة وتناولت قطعة من البطاطا ثم وضعتها في فمي متلذذة بمضغها دون حديث لأغيظه و تابعت الأكل حتى انتهيت، حافظ هو على هدوئه دون أي محاولات حديث أخرى.

حل الظلام فجأة، استرقت لمحة نحو الصغير لأرى إن كان خائفا، فبدى كذلك، تنهدت محاولة التظاهر بالنوم مثل

عامل القطار ؛الذي يبدو كأنه لم يعد موجودا حتى؛ عندها سأعطيه الفرصة ليقترب ويتخذ المقعد الشاغر بجواري، وبالطبع أتفهم شعوره، لكنه كان شجاعا ولم يبرح مكانه، أبقى على عناده و بقيت أنا في انتظار الاعتذار الذي يبدو أنه لن يحدث قريبا.

**

بعد مرور الوقت،

كثرة التظاهر بفعل ما تصبح واقعا، واجبا علينا قبوله عندما نفرضه على أنفسنا لوقت طويل، غططت في النوم بعدما تظاهرت به لفترة، عندما استيقظت كانت العربة ظلام لم أجد الصبي مكانه، هل رحل؟ لاحظت أن عامل القطار أتى للجلوس بجواري، كان في ثبات غريب حتى أنه لم يطرف بعينيه، حدقت فيه لأتأكد اهو حقيقي أم

مجرد طيف؟ تحدث فجأة ما أفزعني بشدة فقفزت في مكاني، وضعت كفي فوق صدري لاستعيد أنفاسي المسروقة، صحت به معنفة:

- ما هذا يا سيد؟ ألم تتخذ من المقعد في الخلف مكانا لك؟ لماذا أتيت لتجلس بجواري الآن، و أين ذهب الصبي الصغير؟

تجاهل كل ما قلته له و تحدث بهدوء قائلا:

- أنا فقط اتسائل، هل يستحق انتظار الاعتذار كل هذا العناد؟ أعني، في كل موقف يحدث هناك التصرف الذي نراه صحيحا عندما لا ننظر إلى كل الصورة وهناك ما هو أصح وأفضل، ما فعلته مع الصبي الصغير أيهما؟

أجبته بثقة:

ملهمون

- الأصح طبعا، عليه أن يتعلم آداب الحديث وهو بعده صغير وإلا لن يتعلمها ابدا! وبالتالي كنت أساعده ليصبح أفضل.

التفت نحوي، بادلني النظر للحظة ثم تابع:

- لكنك لم تساعديه، في النهاية، ها هو ذا قد ذهب ولم يعتذر، تعاملتي معه تماما مثلما يتعامل والديه، لم تنصتي، وبالتالي أنت زدت الأمور سوءا لا أكثر.

بقيت صامتة، كنت أفكر فيما يقوله، وافقته جزئيا، فالصبي أخطأ ولم يعترف بالخطأ.

تابع قائلا:

- عندما حاول التحدث مجددا ألم تأخذي حديثه كاعتذار بطريقة مختلفة؟ هل يكمن الاعتذار في عبارة أنا آسف فقط؟ لو أحسنتِ له لأحس بخطئه واعتذر، حتى الكبار

ملهمون

يتصرفون بنفس الطريقة وليس الصغار فحسب، الإنصات يحتاج أذنين وقلب فالبوح شاق صعب.

ازدردت لعابي بصعوبة و أنا اتمتم من متاهات تفكيري:

- ماذا!! لكن...

لم أجد ما يمكن قوله، استعدت ما قاله الولد سابقا و شعرت ببعض الذنب.

حرك رأسه تارة يمينا و أخرى يسارا مظهرا إحباطه؛أو هكذا بدى لي الأمر؛ تنهد بأنفاس حارة ثم استند بثقله على مساند المقعد لينهض، رفع قبعته في تحية وتبسم عائدا إلى مكانه السابق.

آخر ما سمعته منه انه قال: تعلمي من خطئك ولا تكرريه.

اسندت رأسي إلى النافذة الكبيرة، دار في رأسي الكثير من الاسئلة، هل اخطأت؟ أكان يجب أن أركز على

مساعدته و أمرر إهانته لي؟ أردت أن أخبره أن فعله السيء هذا سيبعد الناس عنه بكل تأكيد، لكنه لم يترك لي المجال ولم يحالفني الوقت، أكان هذا صوت كبريائي أم غروري؟

تنهدت بعمق و أنا أخبر عقلي أن يهدأ فقد فات الأوان، الصبي رحل بالفعل، ولا أعلم إن كان سيعود، ربما يجد شخصا في طريقه أكثر حكمة مني، يتفهمه أكثر، تنهدت و قلت: أتمنى.

تردد في رأسي صوته وهو يحاول محادثتي فشعرت بالغيظ الشديد من نفسي، تهدل كتفاي و أنا أعترف لنفسي أخيرا:

- لقد خذلته! أنا آسفة يا صغيري.

حان وقت جلد الذات حسب التوقيت المحلي لمدينة الضمير الحي، أحيانا يكون لزاما علينا أن نسامح أنفسنا

عندما نخطئ بأن نتعلم من الخطأ جيدا ولا نكرره، الخطأ مرشد يزيدنا خبرة لنتعامل مع ما هو قادم بشكل أفضل.

حل الصيف فجأة و تلك فراشات؟

انتهيت من كتابة بعض الرسائل، أكتب لنفسي من وقت لآخر و أجد الأمر مسليا للغاية، عندما أعيد قراءة ما كتبته بعد مرور السنين، ألمح التغير الذي حدث في طريقة تفكيري و كيف أنظر إلى الأمور، أكون أكثر امتنانا و نضجا و في الوقت نفسه أتحرر من بعض الضغوط.

هذه المرة تضمنت رسائلي رسالة اعتذار للعبقري الصغير وكل تلك الأمور التي أردت قولها ولم أخبره بها.

تباطؤ القطار المفاجئ جعلني أفهم أنني بالقرب من محطة جديدة، ترى أي نوع من المسافرين سأقابل هذه المرة؟

دلفت إلى عربتي فتاة، كانت شقراء بعينين خضراوين، للوهلة الأولى كانت تبدو من النوع الهادئ، ابتسمت لي

فزاد في رصيد انطباعي عنها "لطيفة"، ذكرني دخولها إلى العربة بالصيف ولا أعلم لماذا؟ لم تقل سوى مرحبا فأجبتها بالمثل، تبادلنا النظرات ثم جلست حيث جلس الصغير سابقا.

أردت أن أبادر بالحديث، ربما نصبح صديقتين فتهون الرحلة، حدثتها مُعرفة بنفسي ففعلت بالمثل ثم تابعت الحديث، أخبرتني عن عائلتها، لديها شقيقان ووالديها، كانت مفعمة بالحماس وهي تحدثني عنهم ثم أصبح الحديث عن الأشياء التي تفضل فعلها في أوقات فراغها، و متى ولماذا بكت لأول مرة؟ أشياء تسعدها، شغفها، أحلامها.

انتظرت ان تتحدث عن مشكلة لأساعدها على حلها فيقل شعوري بالذنب نحو الصبي تدريجيا، لكنها لم تقل شيئا عن مشاكل، تتحدث فجأة ثم تصمت لفترات طويلة،

تسألني سؤالا عشوائيا وما أن أحاول بذل جهد التفكير في إجابة له، تأخذ صمتي بسيف الحياء فتغير الموضوع برمته وعندها تصبح الإجابة كالطعام البائت بلا شغف الطاهي حتى و إن حاولت تسخينه.

بدأ الملل يتسلل إليّ، كنت عالقة في شباك حديثها المستمر بلا توقف بينما تغلفني هي بخيوط كل شيء عنها دفعة واحدة.

بعد امضاء الوقت معها، اعتدت تقلباتها المستمرة، ضحكنا معا و تشاركنا بعض الآراء حول أمور تحبها، كانت تغضب كلما اختلفت معها في الآراء لكنها لم تبالغ في غضبها، فقط تتابع الحديث عن أمر آخر وكأن شيئا لم يكن وهكذا...

كانت محور الكون وأنا مجرد كوكب صغير يدور في فلكه حولها.

شعرت بالجوع فنهضت أحضر لنفسي بعض الطعام، مددت يدي نحو رف الأطعمة السريعة، صوت داخل عقلي حدثني فجأة: لا تفعلي!

أبعدت يدي سريعا وتلفتت حول نفسي لأتبع مصدر الصوت فلم أجده، قلت لنفسي أنه عليّ أن أتنفس وأحصل على بعض الهدوء الداخلي، عدت لاختيار شيء سريع الأكل لينتهي الجوع، فسمعت الصوت مجددا يقول:

- الوجبات السريعة سيئة، الوجبات الصحية المُعدة منزلياً أفضل! تقول أمي أنها تغذي العقل و هي أكثر فائدة ونظافة من متعة تلك الوجبات الزائفة.

ابتسمت هذه المرة فقد تعرفت إلى صاحب الصوت، تعلمت منه أنا ولم يتعلم مني هو شيئا.

تمتمت في نفسي:

- شكرا لك أيها السيد اللطيف، أتمنى أن تجد صديقا جيدا يعوض شعورك الشديد بالوحدة، أو أفضل! أتمنى أن يفهمك أبواك وأن يدخرا الوقت للاستماع إليك ففي النهاية ما الذي يهمهم أكثر؟

التقطت تفاحة وعدت أدراجي إلى مقعدي، كانت فتاة الصيف نائمة بهدوء فلم أرد أن أزعجها، أكلت تفاحتي و أنا أفكر في تلك الرحلة، من حولي الخضرة في كل مكان، و القطار يتمشى في منتصف الطريق بين جبلين على يمينه و على يساره، كأنه في نزهة ممتعة يصفر فتغرد الطيور من حوله.

حاولت أن أرى ماذا يفعل عامل القطار، كان يخفي وجهه أسفل قبعته مجددا، لا أعلم إن كان نائما أم أنه يتظاهر بالنوم كي لا يتحدث؟ عموما لم تتملكني رغبة في التحدث إليه، يزعجني حديثه نوعا ما.

غصت في مقعدي، تارة أراقب قدمي في رقصة اخترعتها، القدم اليمنى فتاة أما اليسرى فرجل كانا يتراقصان بسعادة ثم فجأة، تصطدم الفتاة بالرجل فتنزعج كثيرا لأنه يفترض به أن يتفادى الاصطدام وبدلا من ذلك كان يحدق في قدم أخرى بوقاحة، تصيح به لقد رأيتك! فيخبرها كيف هذا وأنت بلا عينان؟

تلك اللعبة كانت تضحكني كثيرا، كان التحدي الأصعب هو أن أجد أسبابا لجدالهما المستمر لاستمتع باللعب أكثر، بعد مرور الوقت بدأ الملل يتسلل إلى داخلي، نظرت إلى فتاة الصيف وفكرت: لما لا أوقظها و نتابع أحاديثنا؟

تنحنحت أولا ثم حركتها بلطف كبداية فلم تستيقظ، تابعت التحريك بوتيرة أسرع، فتحت عينيها أخيرا و تثائبت ثم سألتني بصوت أجش بعد نوم طويل:

- ما الأمر؟

أجبت:

- لا شيء، كنت اتساءل إن كان عليّ إيقاظك كي لا يفوتك المنظر بالخارج و أيضا أعتقد بأننا كدنا نصل إلى المحطة التالية ربما ترغبين في النزول؟

عقدت ما بين حاجبيها باستغراب ثم قالت وهي تحك عينها:

- ما الذي تتحدثين عنه؟ تلك عربتي، أنتِ من عليه النزول حين يحين الوقت لا أنا.

ملت برأسي قليلا ولم أفهم، هل تهذي في نومها؟ في الحقيقة تلك عربتي أنا! أنا أول من دخل إلى هنا.

نهضت لأجلب الشاهد المهم على كلماتي، عبرت الردهة بين المقاعد، كان قد أزال قبعته بالفعل، استشعر حدوث مشكلة؟ وضع إصبعه فوق شفتيه ما يعني ألا أتحدث ثم

قال بصوت هامس: أنت على حق هي على خطأ ماذا يهم؟ عودي إلى مقعدك وتابعي الحديث إن أردتِ أو أكملي الرحلة بصمت!

نفختُ باعتراض، أعاد قبعته ليغطي وجهه مجددا عاقدا ذراعيه أمام صدره وقد رفع ساقيه ممددا إياهما واضعا ساق فوق أخرى للمقعد بجواره، يالها من وضعية مريحة للغاية بالنسبة لشخص في أوقات عمله ألا تظن؟

رفع قبعته، اومأ برأسه موافقا ثم أعادها مجددا فوق وجهه، رمشت بعيني مرتين أو ثلاث، عرفت بأنه لا فائدة من إطالة الحديث معه، فقط اتخذت طريق العودة إلى مقعدي غير راضية بما يحدث.

تهللت أسارير الفتاة ما أن رأتني مجددا صاحت بحماس:

- هاااا، لقد عدتِ! مرحبا بعودتك.

ارتخى جفنا عيني وأنا أشعر بالسخف الشديد من حماستها الزائدة أكثر من اللازم، لم أكبح شعوري هذه المرة فقلت لها:

- ذهبت إلى آخر العربة ولم أذهب إلى آخر الدنيا، ما بكِ؟

لم أنتظر ردها فقد كنت منزعجة للغاية، جلست في مقعدي وقررت أن أدندن لحن أغنية عرفتها في صغري لأتسلى، صاحت على إثره الصيفية:

- أعرف هذه الأغنية، كنت أغنيها كثيرا في السابق.

أسندت وجهي إلى كفي وأنا اسألها بلا اهتمام دون حتى أن أنظر لها:

- ولما توقفتِ عن غنائها؟

قالت:

- لا أعلم، ضاعت من رأسي، لم أقبل على غنائها كثيرا لفترة فابتلعها النسيان لتعيديها أنت الآن! ألا يبدو هذا رائعا؟ جمعت كفيها وهي تحدق به بنظرة متحمسة تظاهرت بالفرحة من أجلها وقد كان الأمر واضحا للغاية فاكتفيت بقول:

- مرحى!!

لا أعلم إن انزعجت من فعلي أم أن الحديث قد انتهى عند تلك النقطة، تذكرت ما فعلته مع العبقري الصغير فقررت أن أتابع الحديث فلا أريد أن أشعر بالذنب مجددا:

- أحب هذه الأغنية أيضا، كان أب.....

واااا... نعم! قوطعت منها، كالعادة، لم استطع إكمال حديثي لأنها قررت أن تتحدث هي أولا:

- أحبها للغاية، كانت جدتي تدندن بها لي كلما شعرت بسوء، كلما سمعتها كنت أشعر أن جدتي تغنيها لي، تجعلني ابتسم بسعادة، شكرا لكِ.

افتعلت ابتسامة فقد غاظني أن تقاطعني ولم تكلف نفسها عناء الاعتذار حتى، كررت لعقلي الغاضب:

- سأمررها، سأمررها عليها ألا تكررها، لن تكررها!

زفرت طويلا ثم تابعت حديثنا:

- لا شكر على واجب، يسعدني أنكِ استعدتِ ذكرى سعيدة وليس العكس، سأخبركِ أنا عن حكاية الأغنية معي.

قاطعتني مجددا لكن السبب هذه المرة هو اللوم:

- لم تسأليني عما حدث لجدتي؟ ألم تلاحظي بأنني قلت كانت، تنهدت وقالت بصوت منخفض وبنبرة شجون: لقد رحلت، رغبتي في نسيان اللحن كان بسبب رحيلها

المفاجئ، لكن سمعته الآن ولم أشعر بالحزن مثل السابق، لهذا أنا سعيدة.

تمتمت في صوت غير مسموع:

- اللعنة على اللحن وعلى الأغنية، لقد فقدت أي رغبة في الحديث الآن، لا يهم.

تكلمت هي وضحكت و أخرجت من حافظة نقودها صورا لكل أفراد عائلتها وعائلات الجيران، وجيران الجيران وعائلاتهم، وسأترك لكم تخيل حالي، لم أضجر من حديثها لكن بقيت متمسكة بغيظي الشديد منها، لم أتجاوز هذا الشعور في الصراخ بها: اخرسي، فقط اصمتي قليلا، أريد أن أخبركِ عن نفسي أي شيء!

فكرت دون أن أشعر بنقطة ذنب صغيرة حتى: يا فتاة الصيف أنت ثرثارة للغاية، لديّ رغبة شديدة في لكم أنفك

والصراخ استمعي إلي! نفخت بانفعال ثم حركت رأسي نحو النافذة.

توقف القطار، محطة جديدة، مسافر جديد سينضم إلى عربتنا، العدد في زيادة، ياله من أمر جيد، لكن أين عامل القطار؟ لِما لم يقل شيئا هذه المرة؟ تساءلت، و أتتني الإجابة في محطة جديدة.

الفتاة ذات الرأس الهزاز

نائم! حقا؟ ياله من كسول، كان يجب أن أتوقع، ليس لديه ما يقوله، إذن لم ارتكب أي خطأ، عظيم!

لكن... لِما أشعر بعدم راحة، وانزعاجي من الفتاة لم يتغير.

فُتح باب العربة،إنها فتاة أخرى! شعر بني غامق ناعم ينسدل على كتفيها، كانت حنطية البشرة بعكس الصيفية، انطباعي الأول عنها كان سلبيا، لم أحبها، هكذا دون سبب، تُحرك شعرها كثيرا وهي تمشي، دارت برأسها في العربة ثم اتخذت من المقعد بجوار الصيفية موقعا لها، بادلتها الإبتسام ولم تبادلني، لا ابتسام ولاكلام...

نعم، انطباع صحيح ممتاز، أحسنت يا جهاز استشعار البشر، تبدو مزعجة، من يهتم؟ ابتسامتها كانت قبيحة على أي حال.

حدقت فيها للحظة فالبشر مهما بلغ الذوق من قلته يظل الحياء يمنع ال...

حسنا انسوا الأمر... تماما! هذه الفتاة تمثل المعنى الحرفي لقلة الذوق المتنقلة، لقد بادلتني التحديق الآن ثم ماذا؟ لا شيء، رمشت بعينيها كأنها تخفيني داخل صندوق خيالي، ترسمه بأجفانها الوغدة.

حركت شعرها كما تفعل مذ دلفت إلى العربة، يمينا...يسارا، كأنها تنطح الهواء، ثم أخذت تهمس للصيفية أمورا لم أسمعها ضحكت الأخيرة كثيرا على إثرها.

رفعت كتفيّ و تجاهلت الحدث كليا، من يهتم؟ سأخلد إلى النوم قليلا، شعرت ببعض البرد، نهضت أحضر معطفي من الحقيبة التي تركتها في رف أعلى المقاعد، بلغت مسعاي ثم عدت للجلوس متلحفة به، هكذا أفضل، كانت الفتاتان منهمكتين في الأحاديث وتجاهلتا وجودي وما يمكن أن أشعر به جراء أفعالهما اللئيمة، توجهت بعيني نحو عامل القطار، هل أشعر ببعض ال...غَيرة الآن؟ شرارة صغيرة للغاية، تكاد لا ترى بالعين المجردة لبعض الانزعاج غير المهم، أعني، ما هذه السخافة؟ أليس كذلك؟ من... يهتم؟ بالتأكيد ليس أنا.

تمتمت بانزعاج:

عامل القطار الكسلان لِما لا يتحرك.

أغمضت عينيّ لاستدعي النوم فأتى، كان نومي غير مريح على الإطلاق، الفتاتان تتحدثان بصوت عالٍ دون أي مراعاة لنومي الخفيف، تأففت علّهما تتحليان ببعض اللباقة! لكن لا شيء.

لا أذكر باقي تفاصيل ما حدث بعد ذلك، لأنه وعلى ما يبدو في لحظة ما غفوت فعلا، بدى أنني داخل تفاصيل حُلم ما، كنت أحرك رأسي كما تحرك قليلة الذوق رأسها ما أشعرني بالغباء، تحدثت بصوت لم يكن صوتي، بينما كان صوتي يزحف ويجاهد بشدة ليصل إلى حلقي وبالكاد فعل، أفقت من غفوتي كان الليل قد حل، نظرت إلى زميلتيّ كانتا تغطان في النوم، لماذا أتيتما إلى عربتي حبا بالله؟ ما هذا الملل؟ لم أعد أرغب بوجود أي منكما.

لكن لحظة... ماهذا؟ لاحظت شيئا غريبا حولهما، الفتاتان رغم إختلاف الملامح أصبحتا تشبهان بعضهما البعض بشدة!

حتى أن تلك الفتاة ذات الرأس الذي يتحرك كثيرا، قامت بقص شعرها ليشبه شعر الصيفية، هل كان شعر الصيفية هكذا منذ البداية؟

استعدت لقطة دخولها إلى العربة، شعرها كان طويل، نعم، عقصَته في هيئة ذيل المُهر، وكان ذيل مهرها طويل، أما الآن فأبصر شعرها قصير للغاية بالكاد يصل إلى عنقها حتى، من منهما بدأت ومن قلدت؟ ليس لديّ أدنى فكرة.

و إن كنت أظن بشدة أنه تأثير الفراشة، بدى لي أن فتاة الرأس الهزاز محبة للظهور، من حديثي مع الصيفية قالت أنها تحب شعرها طويل و تتمنى أن يصبح يوما طويلا

للغاية حد الوصول إلى ركبتيها و لو تعداها يكون هذا من دواعي سرورها الدائم، إذن كيف؟

مسحت وجهي بكفي، لم يتطلب هذا مني أكثر من لحظات قليلة عندما فوجئت به جالسا قربي مجددا، حدثني دون أن يلتفت :

- هل أنت منزعجة؟

تجاهلت سؤاله بسؤال آخر:

- كيف تفعل هذا؟ كيف تنتقل من مكانك إلى هنا بهذه السرعة ولم أسمع وقعا لخطواتك حتى؟

ابتسم، حرك رأسه يمينا، ثم أدارها نحوي بآلية و قال بهمس:

- أنا لا أتحرك بسرعة، أنت من يتحرك ببطء... أعاد صوته لنبرته الطبيعية وأردف: لكن، "من يهتم؟" أليس كذلك؟

أشار برأسه نحو النائمتين قائلا:

لو كانت صداقتهما تزعجك هل تجرؤين على إخبارهما بالأمر؟

أجبته بتردد وأنا أشيح بنظري نحو النافذة خجلى من شعوري:

- لا!

سأل:

- لِما لا؟

تنهدت وطأطأت رأسي نحو الأسفل:

- لأنني أفضل بدونهما، لأنني لن استجدي أحدا ليصبح صديقا لي، ثم إن صداقتهما ليست ما يزعجني، أن يتم تجاهلي كليا بهذه الطريقة هو ما يزعجني.

قال بعد أن تأكد أن حديثي قد انتهى:

- قلتِ أنكِ تريدين أن تصبحي صديقة للصيفية بمجرد أن ظهرت في العربة، فماذا تغير؟

تنهدت وأدرت رأسي نحو النافذة، فكرت: لهذا حديثه يزعجني بشدة وإن كان صوابا أيضا، اسئلته صحيحة للغاية، وكأنها وضعت من قِبل خبير، يجبرني على التحديق في نفسي أمام مرآة الحقيقة، لا أريد أن أكذب، لا يمكنني أصلا، أشعر بأنني لو أخفيت تفاصيل عنه سيعلمها ومن يعلم ربما ينتظرني عقابا سيئا لو فعلت، أليست تلك أحد القوانين؟

أجبته بتلعثم دون ترتيب للكلمات:

- تغير الكثير، الصيفية لا تتحدث إلا عن نفسها، كلما أردت الحديث تقاطعني ولا يبدو أنها تهتم حتى، استمعت لكل ما تقوله رغم غيظي الشديد منها، ومع هذا لم أستطع تجاوز ثرثرتها الطويلة دون ترك أي مجال لي لأتحدث عن نفسي مثلما تفعل هي، شعرت، شعرت... زفرت بإحباط وقلت: لا أعلم فحسب، لم أكن مرتاحة، حسنا؟

تابع نيابة عني وهو يبتسم، عيناه صافيتان مثل مياه نهر رائق:

- شعرتِ بأنكِ غير مهمة.

أخبرني بها هكذا وكما ترون هناك انتهت عبارته بنقطة وليس استفهام، فقط يكمل عبارتي المبتورة، لا يسألني إن كان الأمر كذلك، بل يُقر به، الأمر الذي أدهشني فقلت:

- أصبت! كيف تفعل هذا؟

- أفعل ماذا؟

قلت وأنا أدير يدي في الهواء وكأنني أفتش في أرشيف غير مرئي لإيجاد الكلمة الصحيحة :

- أعني، كيف تعرف ما أريد قوله ببساطة كما لو كنت داخل رأسي؟

قال بابتسامة:

- لنقل أنني أجيد التخمين.

شردت قليلا، أخذت أتحدث معه بعشوائية بالغة:

- أتعلم؟ أحب أن أتعلم اللغات، في أحد المرات غصت كثيرا في تعلم لغة ما، وبعد أن أتقنتها جيدا، لاحظت أنها تلقائيا بدأت بالتأثير على لغتي الأصلية، كنت أنسى الكلمات و كأنها تتبخر من رأسي، كلما حاولت التفكير في الكلمة الأصلية قفزت الكلمة الفرعية من اللغة الأخرى،

وعندما أنطق بها مضطرة، يجعل هذا من حولي يشعرون بامتعاض شديد، سمعت أحدهم يقول:

"تحب التظاهر بأنها أفضل من الجميع"، وأقسم لك بأنني لم أكن كذلك.

سألني:

- حكاية جميلة، ولا داعي للقسم فأنا أصدقك، لماذا تخبريني بها؟ أهناك سبب معين لهذا؟

اومأت برأسي إيجابا وكنت سعيدة للغاية أنه طرح السؤال، فسؤاله جعلني أشعر بأنني مهمة، عكس الأثر الذي تركته بي فتاة الصيف، أجبته:

- الحديث معك يبدو كمحاولة إيجاد الكلمة الأصلية فأجدها واستخدمها مباشرة دون الحاجة لطول صمت وتفكير، يشعرني هذا... بالراحة.

لاحظت تبسمه، رف بجفنيه عدة مرات مُعلقا على حديثي:

- تعجبني طريقتك في التعبير عن شعورك، استخدمتي طريقة التشبيه، يميل إلى استخدامها عادة اولئك الذين يظنون أن لا أحد يفهمهم.

تابعت بهمس شارد:

أو من لا يجيدون التعبير.

سأل مجددا:

- ماذا تعلمتِ من قصتك؟

- تعلمت أن البشر يطلقون الأحكام جزافا وكأنهم يعرفون كل شيء.

رفع حاجبيه متعجبا من قولي المقتضب:

- فقط هذا؟

ملهمون

رفعت كتفيّ بحيرة ثم اومأت برأسي موافقة لأؤكد ما قلته سابقا فحسب.

قال:

- عندما يتعلق الأمر بماذا نتعلم من الحدث السلبي الذي يحدث معنا، كوني أكثر إيجابية من الحدث تكونين بخير.

لم أفهم ما يقول، سألته:

- ماذا تعني؟

- دعينا نرى الأمر من زاوية أخرى، لابد أن هناك الكثير من الناس الذين يتعلمون اللغات، أليس كذلك؟ لابد أن أحدهم على الأقل يفهم ما تعنيه و بالتالي إن حاولتي الحديث معه بطريقتك سيتفهم، الجزء السيء أنك لم تري إلا صاحب التعليق المزعج، الجزء الجيد هو أن صمت البقية لا يعني أنهم يوافقون ظنه، مال نحوي قائلا بعتاب:

لا تطلقي الأحكام جزافا! وابحثي عن الجيد في الصورة ليس السيء فحسب، أحيانا ما نظنه بالغير يكون إنعكاسا لذواتنا، يكون علينا أن نحارب أفكارنا المظلمة لا أفكار الغير.

نهض واقفا مجددا، ابتسم وقال:

- تعلمي أن تعبري عن شعورك، الناس لن تعلم إن لم تخبريهم، جِدي طريقتك في التعبير عن ذاتك ولا تُحكمي الغلق عليها بالداخل، يمكنك أن تصبحي ملهمة لغيرك بأفعالك حتى دون الحاجة إلى تعارف مسبق.

قلت بصوت هامس كطفل يحاول الاعتذار من أمه على فعل خاطئ ارتكبه:

- ماذا لو... ترددت في متابعة السؤال فحثني على الحديث:

-.... لو ماذا؟

قُلت:

- لو أخبرتهم ولم يهتموا؟

ابتسم بفخر ثم أمال رأسه تجاههن وقال:

- نلتِ شرف المحاولة، أفضل كثيرا من البقاء عالقة في "ماذا لو؟"، مهمتك ليست ما يفعله الغير بل ما تفعليه أنتِ، كل ما هو خارج تحكمكِ لا تفكري فيه، كوني الأولوية والباقي قيد النقاش.

غمز بعينه ثم تحرك عائدا إلى مقعده و بالطبع بِتم تعلمون ماذا فعل.

**

استيقظت الفتاتان، كنت في هذه الأثناء قد اعتدت الهدوء والوحدة، عادتنا إلى الحديث سويا مجددا، علا صوت

ضحكاتهما، تجاهلت الصيفية وجودي كليا، أما صاحبة الرأس الهزاز فحدث ولا حرج، لم تعترف بوجودي منذ البداية كما تعلمون،

أحيانا أجد نفسي متحيرة، فكيف يحدث الإنطباع الأول وما هو سببه إذا كنتَ لا تعرف الشخص بعد؟ من هو المسؤول عن سوء الأحوال الجوية بين كونين منفصلين؟ ربما المشكلة حدثت عند أول تحديقة مني لها، حدسي أنها شخص لن أحبه جعلني أنظر إليها شزرا دون أن أرى نفسي، فكانت السبب.

لكن كيف حدث انطباعي السيء عنها، من يدري؟

على العموم، لدي كتاب في يدي و اقرأ كعادتي مرورا بعينيّ على الكلمات، استوقفتني بعض المشاهد الرائعة على جانبي الطريق، لكن السَكينة مثل عصفور تحط في ثانية وفي الثانية الأخرى تحلق بعيدا، تحولت الأجواء

فجأة إلى ظلام دامس دلفنا إلى نفق طويل بلا مصابيح، في العادة، عندما لا أستطيع الرؤية، أغلق عيني، فماذا بعد التحديق في الظلام سوى العبث؟

حدثني صوت، كانت الصيفية، ميزت صوتها، سألتني: هل تخافين الظلام؟

أخبرتها أنني بالطبع أفعل، لكن في حالتنا تلك، لا أشعر بالخوف فلدي صُحبة، ربما أقلق قليلا لو طال النفق، فالعين ما أن تعتاد الظلام يبهرها النور حد الأذى.

صمت... لم يأتيني مزيدا منها لدقائق فلُذت بصمتي، تابعت الحديث فجأة: أردت أن تخبريني رأيك في تصفيفة شعري الجديدة، أنا أحبها كثيرا، أليست جميلة؟

قلت باقتضاب وأنا أدير حدقتاي:

- عظيم، المهم أنكِ تحبيها.

سمعت صوتا في رأسي يحفزني بشدة مكررا: تحدثي هيا، أخبريها الآن، لا تمرريها!

لا أعلم أكان هذا تأثير الصوت أم الظلام أم كلاهما معا منكهان بطعم الغيظ الشديد، تحدثت بصرامة:

- استمعي إلي يا صيفية، تحدثنا كثيرا قبل أن تأتي صاحبة الرأس الهزاز، أخبرتني بكثير من الأمور، انزعجت عندما كان حديثنا كله عنكِ لم يتخلله شيء عني،

في عدة محاولات مني لأفعل فشلت لأنكِ بقيتي تقاطعيني دون اعتذار حتى! أغاظني الأمر جدا حتى أنني توقفت عن الانصات لكِ لبعض الوقت فقد نفرت، عندها أتت صديقتك هناك و حازت كل اهتمامك فجأة، أنا لا أمانع اختيارك فأنت حرة، أردت حقا أن نصبح صديقتين خلال رحلتنا قبل أن نفترق، فهل تريدين أن نصبح صديقتين؟

سمعت صوت أنفاس، كانت تزفر ثم جاءني صوتها مزمجرا:

- تقولين أنني منفرة و ثرثارة و مزعجة ثم تطلبين مني أن نصبح أصدقاء؟

التفتت نحو صوتها فلم أكن أراها، قلت:

- نعم، فالصداقة تتطلب الصدق و الصراحة، لا أريد أن أبقي على انزعاجي منكِ، أخبرتك بكل ما أشعر به دون مجاملات فأنا لا أجيدها.

هنا، نادتها صاحبة الرأس الهزاز فاستجابت، سمعتهما تتحدثان من جديد سويا، علت صوت ضحكاتهن، ففهمت: تجاهلتني إذن، إنه خطئي أنا من سمح لها بذلك، وجب ألا أعلق لها بشيء.

سمعت صوت الرأس الهزاز تحدثني، تهكمت في داخلي: قررت أن تراني عندما أصبحنا داخل الظلام.

قالت بلهجة زاجرة:

- بسببك حزنت صديقتي، أرجو ألا تحدثيها هكذا مجددا، فهي لا تحب وقاحتك المغلفة بالصراحة كما تدعين...

قاطعتها وأنا اسأل:

- ولِما لا تخبرني هي بنفسها بما تشعر؟ لماذا تحدثيني أنتِ و أنا لا أرغب في التحدث إليكِ حتى، هل عينتكِ محامٍ عنها؟ هل نحن في محكمة؟ ثم أضفت بصراخ: هل أكل القط لسانها اللعين؟!!!

صمت غلف المكان، بقي على هذه الحال لدقائق، رفعت ساقيّ وضممتهما معا، أوليتهن ظهري واستندت به على مساند المقعد منتظرة أن ينتهي الظلام، أغمضت عيني و

بدأت في العد... واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة... حتى وصلت إلى أربعين فعاد الضوء ولم تعد الفتاتين.

اختفتا من العربة وبقيت أنا و عامل القطار، مر بي ظلال بعض الأشجار في الخارج فكنت أتحرك بين ظل و نور، ظل ثم نور يطارد أحدهما الآخر بلا توقف مرورا بي، يضيء وجهي و يأفل، يتعاقبان كَليلٍ ونهار، بهدوء نهضت من مكاني لأتوجه نحو عامل القطار وأجلس بقربه، بقي على وضعه دون حراك عاقدا كلا ذراعيه أمام صدره و قبعته السوداء تغطي وجهه.

قمت برفعها عن وجهه فظل بلا حركة، عيناه مغمضتان، اخترت أن أحدثه بما يجول في خاطري وجزء مني يعلم أنه يعرف ما سأقوله، لكني أردت الحديث، أزعجني الضجيج في داخلي بشدة، كنت أصرخ بالداخل، أغضب، احطمني، و ألوم نفسي بشدة لأنني تحدثت، كنت حزينة

ومحبطة ظللت أردد أن الصيفية لا تستحق ثمن صراحتي الذي دفعته من كرامتي وصدق شعوري، فانظري يا نفسي الحمقاء ماذا فعل الصدق بنا و كيف أصبحنا؟

حدثته بلوم:

أنا غاضبة منك!... حركت رأسي و أغمضت عيني بشدة وأنا أزيد بصوت حانق: للغاية! ضاغطة على كل حرف، أنا محبطة بشدة.

يبدو أنني بكيت، شعرت بحرقة في أنفي ولم أشعر بهطول دموعي إلا عندما أدخل يده في جيب بنطاله و أخرجها مادا إياها نحوي بمنديل.

ابتسم وهو يسألني: اهدئي، لماذا تبكي؟

حدقت به شزرا و قلت مزمجرة:

- ألا تدري؟ كُف عن المراوغة، لست في مزاج جيد لأي مزاح، أعلم أنك تعلم السبب.

قال بهدوء:

- لا، لا أعلم إن لم تخبريني... قلتُ أنني أجيد التخمين لا أكثر، وفي حالتك تلك لست متأكدا مما يحدث معكِ، اخبريني.

كدت أشتعل من شدة غضبي، وجهت سبابتي نحوه ألومه:

- أنت السبب، أخبرتها كما قلت لي... تجاهلتني، لم أشعر بالإهانة في كل حياتي مثلما أشعر بها الآن.

أبقى على هدوئه قائلا:

- أنتِ قررتي أن تخبريها لم أجبركِ، لكل قرار تبعات و عواقب، هذا ما نسميه ضريبة. ماذا تتوقعين؟ أن يصفق العالم لك و يكافئك على صدقك مع نفسك؟ انتهى الأمر،

ملهمون

ليس عليك تحمل أشخاص من نوعها، لقد حصلتي على خاتمة تليق.

صرخت به:

- هي لا تستحق!

قال ببرود:

- يعيدنا هذا إلى سؤالي الأول: لما البكاء لو كانت لا تستحق؟

أخفيت عينيّ بعقبيّ كفيّ، لم أرد أن يرى وجهي، لم أكن مستعدة بعد لقول أي شيء، ساد الصمت لا يعكر صفوه إلا صوت أنفاسي التي تئز أزا كمرجل على نار، قلت دون نزع كفيّ عن عيني:

- لا أحب أن أشعر بأنني مهمشة، ما فعلته جعلني أنظر إلى نفسي بدونية، شعرت أنني استجديها، بأنني مثيرة للشفقة فحسب.

تلك ليست الحقيقة، تذكرين القاعدة لا يمكنك الكذب على عامل القطار، لا يهم إن كانت تستحق أم لا، ما يهم هو ما حقيقة شعورك؟

خفضت رأسي و انخفضت معه نبرة حديثي، قلت وأنا أشعر بالخجل من قولي:

- لأنني حقا... أردت أن نصبح صديقتين وأن تلك الرأس الهزاز هي السبب في كل ما حدث.

- أحسنتِ، تلك هي الحقيقة، هل تشعرين بتحسن قليلا؟

حركت رأسي نفيا ثم قلت: بل أشعر بالحزن.

- لا بأس ببعض الحزن، الحزن صديق جيد يقربنا من أنفسنا، فقط إياكِ و الغرق فيه.

ربت على كفي مكملا:

- فعلتِ الصواب، طلبتِ منها طلبا ورفضته هي، انتهى، أنتِ لستِ شخصا أقل برفضها لكِ، طريقتها في التعامل مشكلتها هي وليست مشكلتك، قيمتك في أفعالك، في تفكيرك واختياراتك، وأخلاقك لا تدعي الغير يسلبك حقك في كل هذا.

في رأيي ما فعلته تطلب شجاعة، كنتِ شجاعة، اعطيتها خيارا فاختارت.

فكرت في كلامه، هو على حق، هل كنت غاضبة بشدة لأنها اختارت؟ تلك ال... ثم حركت رأسي كما تحرك تلك البغيضة شعرها، تنطح الهواء هكذا ثم هكذا، يمين يسار مثل حمار.

عقب عامل القطار لائما:

- أخلاقك!

أخذت أضحك من فعلي فبدوت كمجنونة، نهضت تاركة عامل القطار لنومته الهنيئة وجلست أتعمق في التفكير، أحلل كل المواقف المشابهة التي مررت بها سابقا، اتسائل هل سأجرؤ على تكرار التجربة مجددا إذا تطلب الأمر؟ كبريائي يصرخ، لا يجب أن أفكر في هذا الأمر، ليس الآن على الأقل.

أخرجت أوراقي و القلم و كتبت لنفسي أنتِ شجاعة، تعرفت على جانب جديد بي الخوف من الرفض يحتل جانبا ليس بهين في بناء شخصيتي، ربما سيكون علي التعامل مع هذا عاجلا أو آجلا، و ذيلت الورقة بملحوظة: قللي من استخدام عبارة "من يهتم؟"

نظرت إلى عامل القطار بامتنان ثم أضفت:

كوني أكثر انشغالا بنفسك ولا تُعولي كثيرا.

من يهتم؟ لاحظت أنني في انتظار المحطة القادمة بلهفة، لهفة داخلي تريد التعرف على نفسي و ما يمكنني فعله و تعلمه أكثر، أصبحت أكثر امتنانا لوجود السيد عامل القطار ولقدرتي على التعلم منه.

سيدي، أيمكنك التحليق؟

وقف القطار، استقبلت كل العربات تقريبا مسافرين جدد، رأيت تدافعهم من نافذتي، غريب، فعربتي ظلت فارغة، لم يدلف أحد من الباب، يبدو أنه لا يوجد رفيق لهذه الرحلة...

بدأ القطار يتحرك، تعجبت، كنت أتطلع لرفيق جيد، لا مشكلة، سأحظى ببعض الهدوء حتى نصل إلى المحطة القادمة، ربما أق...

كنت على خطأ، فقد فُتح الباب و دلف شاب صغير، كان يمشي ببطء متعمد، التفت نحوي على نحو مفاجئ، حدق بعيني مباشرة فشعرت بالتوتر، لا أحب تواصل الأعين مع الغرباء، يزعجني كثيرا، أشعر أنه فعل خاص، لا

يفترض أن يحدث إلا مع أشخاص يهمك أمرهم للغاية، فالعينان بوابتان لكل ما نخبئه بالداخل.

أومأ برأسه محييا وابتسم ثم جلس في مقعده بموازاة مقعدي، يفصلنا المقعد بجواري ثم مسافة البهو بين الصفين.

لم أشعر برغبة في الحديث هذه المرة، ولا أمانع لو أراد أن يتحدث لا بأس سأجيبه.

بقي الصمت عالقا لفترة قبل أن يدور برأسه تجاهي قائلا:

- عفوا، هل...من أحد هنا؟

للحظة، شعرت ببعض الحيرة من قوله وأجبته أن نعم، أنا هنا! ظننته يقصد عامل القطار الذي لم يكلف نفسه عناء الإجابة، أشرت نحوه متابعة أجيبه نيابة عنه: و هو.

تهللت أساريره قال مبتهجا:

- سعدت بلقائك، علمت أنني سمعت صوتا، وأردت التأكد.

كان بشوش الوجه، لا يتوقف عن الابتسام، ارتدى كنزة صفراء بلون عصفور كناري فقررت أن أناديه "الكناري".

اتضح أن الكناري فاقد لبصره، كان حديثه مرحا للغاية، لم أصادف شخصا فاقدا للبصر في حياتي قبل هذه اللحظة، كان دمث الأخلاق، لطيف، أخبرني عن حبه للسير وقال أن باستطاعته السير وحيدا في شوارع يحفظها عن ظهر قلب منذ الصغر، قال أنه في أحد المرات تأخر في عودته إلى المنزل، الأمر الذي أقلق أمه المسكينة كثيرا، فجَمعت إخوته و أبناء الجيران وطلبت أن ينتشروا بحثا عنه.

قال بصوته العذب ما جعل الكناري اسم يناسبه أكثر:

- حزنت يومها لقلق أمي الشديد، أشعر به في كل مرة أخبرها أنني ذاهب للسير قليلا، عندما كنت صغيرا كانت

تأخذني بنفسها إلى المدرسة صباحا وتعود لتحضرني منها مساءا، وفي بعض الأحيان كانت تشاركني السير لوقت طويل فنتبادل الحديث ونضحك، هذا الأمر سبب الحزن لإخوتي، فغالب وقت فراغها لي، ولا ألوم عتابهم، كنت أطلب منها أن تتوقف عن فعل هذا وأن اشقائي في حاجتها مثلي، فتتعلل بأنهم يتفهمون ولا داعي لقلقي، بدأت أتسلل دون أن تشعر فأمنح اخوتي بعضا من وقتها رغما عنها.

صمت قليلا يسألني:

عذرا، طال حديثي، لابد أنكِ تشعرين بالملل.

رفعت رأسي في فضول نحو ما يفعله عامل القطار، كان مستيقظا على غير العادة، أشار لي يصنع دائرة في الهواء ويكررها بسبابته ما يعني تابعي، فابتسمت وعدت أجيب الفتى:

- لا بأس، أرغب في سماع المزيد، أخبرني.

تنهد وقال:

- لا أعلم لماذا يشعر الأهل بالذنب عندما يحصلون على طفل مختلف، وكأن اختلافه عبء على الجميع تحمله شائوا أم أبو... أنا يوما لم أُلم اخوتي على شعورهم بالظلم مما تفعله أمي، ولأني أحبها بشدة لا أريد أن يغضبوا منها، بعض الناس يخطئون في تفسير مشاعرهم فيظنون غضبهم كره، ويظنون خوفهم عجز.

أخذت أفكر في كلامه ثم قلت:

- أظن أن الأهل في العادة يهتمون بأبنائهم بطريقتهم، قابلت في أحد المرات صبي صغير، وحيد بلا إخوة... مشكلته أنه عبقري فكانت أمه تجبره على المكوث في المنزل للاستذكار و التخلي عن أي فرصة في الحصول على صديق يضيع له وقته بما لا يفيد، أظن أنه في بعض الأحيان، يسرف الأهل في خوفهم و القلق، و عندما يكون

الطفل مختلف كما تقول يزداد شعورهم بالقلق فيدفعهم إلى فعل أمور بعيدة كل البعد عن المنطق.

في حالتك، أعتقد أن أمك نسيت إخوتك ظنا منها أنك الأولى وفرضت عليهم تفهم ذلك دون أن تناقشهم في الأمر، هذا ليس خطئك ولا خطأهم، ولا حتى خطأ الوالدة، إنما سوء فهم و تواصل.

قال بإحباط:

- ربما.

أردت أن أتابع الحديث معه لأخفف من وطئة إحباطه، سألته:

- حسنا، دعك من هذا الشعور بالإحباط فهو لن يفيدك بشيء الآن، هل يمكنني أن أسألك سؤالا و أتمنى ألا تعده وقاحة؟

أجاب بحماس:

- بالتأكيد!

قلت بتردد:

كيف تبدو الحياة كشخص فاقد للبصر؟ ماذا يزعجك وماذا يسعدك؟

ظل صامتا لم يجيب، شعرت بسوء، هل أزعجه سؤالي؟ هل أحرجته؟ يبدو أنني أصبحت متخصصة في إفساد كل شيء، يا إلهي ماذا أفعل؟ سأغير الموضوع! نعم خطة ممتازة...

هممت بالاعتذار وقررت أن أخبره عن الرواية التي اقرؤها:

- عذرا لم أقصد ازعاجك، الفضول سيء، لدي هنا...

- لا داعي للاعتذار فأنا لم أنزعج، أردت التفكير فيما سألتني فحسب، لا أحصل إلا نادرا على اسئلة من هذا النوع، يظن الناس أن فاقد البصر ناقم على من يبصر، فيشعرون أنهم لو تحدثوا معه بما يروه و يصفونه، أنهم يسيئون له بطريقة ما، فيتجنبون معظم الأحاديث متعللين بمراعاتي، طريقتهم في المراعاة الزائدة تحبطني أكثر.

انفعلت لقوله فضربت كفي اليسرى بكفي الأيمن وأنا أعقب:

- أعرف شعورك هذا، ماتت أمي و بعدي صغيرة، كلما تحدث أحدهم عن أمه أمامي يشعر بالأسف من فعله وكأنه ارتكب ذنب كبير، يغير حديثه بتوتر فيشعرني هذا بالسوء، لا أجد مشكلة ابدا في التحدث عن الأمهات في حضوري فلماذا يجد الغير مشكلة؟

كان ينظر إليّ بأذنيه، هكذا شعرت، الحاسة التي يعتمد عليها أكثر كانت موجهة إليّ لم يكن ينصت فحسب بل كانت أذنه بعينين، قال بعد أن انهيت حديثي:

- آسف لخسارتك.

ابتسمت لقوله وأجبته:

- لا بأس، مر وقت طويل كما أنني أحملها في قلبي.

ابتسم ملء شفتيه وعاد لحماسه وقال:

- ألا زلتِ تشعرين بالفضول حول إجابتي عن سؤالك؟

يبدو أن حماسته مُعدية فصحت على إثر سؤاله بصوت بدى عاليا للغاية:

- بالتأكيد!

ضحك فضحكت، واعتذرت عن صوتي العالي، الكناري شخص لطيف للغاية، كانت تلك المحطة من ألطف المحطات التي مرت بي.

أجاب سؤالي اخيرا:

- الحياة بالنسبة إلي ظلام دائم، الظلام يخيف المبصرين، أليس كذلك؟ أنا لم يتسنى لي أن أرى ما ترون يوما، لكن لدي مخيلة، أستطيع تمييز الليل عن النهار، استخدم أذني بديلا، الأذنين صديق جيد لأي ضرير، تجعلنا أحيانا في حالة من التأهب و أحيانا أخرى نسمع ما لا يسمعه غيرنا، أذنا الضرير عيناه... لدي فضول شديد حول كيف يبدو كل شيء، أمي، أبي، إخوتي، اصدقائي، الشجر ، القمر، كيف ترى العينان؟ أي شعور تتركه الرؤية في النفس، فضول طبيعي، سمعت قصص عن أناس كانوا مبصرين

وفقدوا بصرهم، فتوقفت عن التذمر، أن تمتلك شيء وتفقده أشد وطأة من ألا تمتلكه أبدا.

أغمضت عيني لبعض الوقت محاولة تخيل الحياة كظلام دائم، الأمر صعب للغاية، أتمنى لو أن هناك طريقة يستعيد فيها كل شخص ضرير بصره، شعرت بالامتنان الشديد أنني أرى، ودعوت الله بصدق لأول مرة استشعر عمقه أن يديم عليّ نعمة البصر وأن يكفيني شر فتور الدعاء، فالنعم تزول إن لم نقدرها حق قدرها.

اقترحت:

- جاءتني فكرة، ما رأيك أن أخبرك عن الألوان بطريقتي؟

عقد ما بين حاجبيه مبتسما نصف ابتسامة بارتباك وهو يسأل:

- كيف هذا؟

- سأخبرك بكل الألوان و اختر لونا في كل مرة أخبرك كيف يبدو، لنربطهم بشيء يمكنك الشعور به، خيالك سيكون عيناك، هل تلعب؟

اومأ موافقا ومد يديه نحو الأمام معلنا بتحدٍ: أنا مستعد!

حسنا يا سيدي: أحمر، برتقالي، أصفر، أخضر، أزرق، نيلي، و بنفسجي.

همهم دون كلمات، كان يفكر أي لون عليه أن يختار، لم تمر لحظات إلا وقال:

- حسنا، لنأخذهم بالترتيب الذي قلته، هل هذا ممكن؟

أجبته:

ممكن جدا، لنبدأ مع الأحمر...

تنحنحت وأطرقت أفكر للحظات ثم قلت:

الأحمر لون الغضب، الثورة، الدم و الحب... ما هي الأمور المشتركة بينهم جميعا في رأيك؟

ابتسم وأجاب، تبدو كلها نابضة بالحياة.

أجبته:

- كيف؟

قال:

- الغضب يصاحبه صوت عالٍ وحركة عشوائية، الثورة صراخ يطالب بوجود بتغيير بتجديد، الدم دورة حياة كاملة وجودها يعني العيش، أما الحب فنبض شديد في القلب يجعله يقفز، سعادة من نوع خاص.

تمعنت فيما يقوله وتبسمت، قلت:

أحسنت الإجابة، إذن فالأحمر لون الحياة النابض.

سألته:

هل تستطيع تخيل وقعه في نفسك؟

فأجاب سؤالي بسؤال وقد بدى عليه الفضول:

- هل تحبين اللون؟

قلت سريعا: لا أحبه، أشعر بأنه لون صارخ جدا و أنا أحب الهدوء، ما هو انطباعك عنه؟

ابتسم وقال لنكمل باقي الألوان أولا، إذا كان عليّ أن أقرر.

وافقته:

- هكذا العدل! لنرى اللون القادم هو البرتقالي، لون بطعم الدفء فهو لون غروب الشمس، ولون حساء العدس الدافيء في شتاء بارد، هل تحبه؟

ضحك عاليا و أومأ برأسه موافقا بشدة فوافقته: و أنا كذلك! دعني أفكر في شيء آخر، آه هو لون النار ولون

البرتقال، لو كان البرتقالي شعور لقلت أنه الشجون أو الحنين، ما هو الشيء المشترك في كل برتقالي قلته؟

أجاب بحماس ظريف:

- الدفء! البرتقالي لون حساء العدس الدافئ، كما قلتِ ما هو انطباعك عنه؟

ضحكت وقلت:

- يبدو أنك تحب الحساء، البرتقالي أحبه، هو لون حنون.

تمتم قائلا: هو لون أمي إذن، أمي امرأة برتقالية.

ضحكت من وصفه، شعرت بالسعادة أنني لم أفسد الأمر كليا هذه المرة، كان يبتسم بحنين، لابد أن أمه قد مرت بخاطره بينما نتحدث، ألم أقل؟ لو كان البرتقالي شعور لكان شجون و حنين.

أعلنت قائلة:

ننتقل الآن إلى الأصفر!

الأصفر لون كنزتك، وهو لون الشمس في لوحات الأطفال، و طائر الكنار صاحب الصوت العذب وهو لون الليمون، وزهرة دوار الشمس الجميلة للغاية، لو كان الأصفر شعورا لقلت أنه لون البهجة، هكذا أشعر كلما رأيته.

أمسك جزءا من كنزته ناحية الصدر يربت عليه بإبهامه بلطف شديد مرددا بهمس: الأصفر لون البهجة؟

علا صوته فجأة وهو يخبرني: أختي اختارتها لي، قالت أنها تليق بي كثيرا وهو لونها المفضل.

وافقتها و أخبرته:

- الكنزة تليق بك فعلا، أنا أحب اللون الأصفر، أشعر بأنه لون يضحك، يبدو أن شقيقتك تحبك كثيرا، ما هو الشيء المشترك في كل ما قلته؟

حسنا، عندما تحدثت عن الأصفر شعرت بالحماس واضحا في صوتك، تحدثتي عنه مثل صديق غائب تشتاقين إليه، الأصفر لون الأصدقاء!

شعرت بغرابة، بدأت تلك اللعبة وأنا أحاول أن أساعده على كشف مفهوم الألوان فأعطى هو لكل لون مفهوما جديدا! تحمست كثيرا لمعرفة رأيه في باقي الألوان فتابعت:

- هل مللت، نتوقف قليلا أم ننتقل...

قاطعني صائحا:

- اللون التالي، من فضلك!

صحت:

- الأخضر! لون من الألوان الباردة، هو لون الطبيعة، العشب المبلل بحبات الندى، الأخضر لون الجنة، في الرسوم المتحركة يشيرون إلى الرائحة الكريهة باللون الأخضر فعل شائن لو أردت رأيي، لا أعرف لماذا؟ فهو لون جميل، لو كان الأخضر شعورا لكان السلام!

صمت قليلا، بدى أنه يفكر أو أنه يشعر بالحيرة، يبدو أن اختياري للأمثلة لم يكن موفقا هذه المرة، لابد أنه قد كره اللون مما قلته أو أنه غير قادر على تخيل وقعه...

ترك الصمت قائلا:

- هلا أخبرتني بمزيد من الأمور التي تتمتع باللون الأخضر؟

سعدت لطلبه فلم أُرد أن أظلم اللون، قلت لون الخضروات و أعشاب البحر، شجر البرتقال يقال عنه دائم الخضرة!

تمتم قائلا:

البرد والسلام؟ الشجر وظلاله التي تحمي من الشمس، الأخضر لون العائلة، العائلة أمر محير، في لحظة تشعرين بالسخط مما يفعلون، غضب متكرر و صياح، وسوء تفاهم، و اللحظة الأخرى قد تفقدين عقلك لو أصيب أحدهم بأقل أذى، العائلة هم المنزل حيث ننتمي، الأخضر لون العائلة لأنكِ قلتِ أنه لون طيب، هكذا أظن.

ابتسمت و شعرت بالسعادة، السيد كناري شخص رائع حقا، يجعلك ترى الأمور من منظور مختلف، يعيد تعريف الأمور من زاويته فيجعلك ترغب بشدة في إعادة تعريف الأمور مثله، قلت له أن اللون التالي أحد الألوان الباردة أيضا وهو الأزرق.

- الأزرق لون البحر، لون السماء، لون بعض الطيور ويستخدم الطائر الأزرق كرمزية للسعادة، وعندما نقول شعور أزرق يعني الحزن، في رأيي لو كان الأزرق شعورا سيكون الهدوء و السكينة.

أمال رأسه مستندا على عصاه التي لحظتها للمرة الأولى مذ دلف إلى العربة، سأل:

- لما ليس الحزن؟ لابد أنه لونك المفضل، قلتِ أنكِ تحبين الهدوء!

تنهدت وأخبرته:

- الأزرق لا يبدو حزين، في أحد المرات كنت مصابة بالإحباط الشديد، اقترحت صديقتي اللطيفة أن نذهب لتجربة السباحة، قالت بأنها ستساعدني على التخفيف من التوتر وهي خروج عن وسائل ترفيهي المعتادة، وصفت لي المشهد بشغف ممتع، بمجرد أن تحدقي في الماء و

ترين تجَلي ضوء الشمس على سطحه العاكس، سيكون هذا كدواء لتخفيض نسبة الإحباط في قلبك، كانت تجربة جديدة كليا بالنسبة إليّ، وبالتالي لم أرفض، وصلنا و بدأت التجربة، ما أن أصبحت تحت سطح الماء كان اللون الأزرق الهاديء من حولي، لم أستطع سماع أصوات الأشخاص في الأعلى، كنت معزولة كليا عن العالم، يومها شعرت بالسكينة كأن الماء يحتضنني بلطف، مؤسف، لو لم تكن رئتيّ في حاجة إلى الهواء لبقيت تحت الماء لما تبقى من عمري.

ظهرت علامات الاندهاش على وجهه وقال:

- إلى هذه الدرجة؟

أكدت بحماس:

- نعم!

عَقَب:

- ترتبط السكينة بالحزن إذن، فهي شعور مؤقت و كل شعور مؤقت حزين.

فكرت في كلماته، يبدو حكيما جدا، تعطينا الحكمة عمراً فوق العمر، غبطته و تمنيت أن يلتقيه كثيرون مثلي، كان الكناري فاقد لبصره لكن ليس بصيرته.

ابتسمت لقوله و سألته السؤال المتكرر مذ بدأنا اللعبة:

- ما هو الشيء المشترك في كل ما قلته؟

قال:

- الأزرق لون الإتساع، الماء واسعة، البحر كبير، الحزن بئر عميقة، و السكينة تغمر... إذن هو لون كبير، كل ما هو كبير وواسع لونه أزرق.

أكملت اللونين الباقيين و أعطاني تعريفا لكل منهما فالنيلي لون الحيرة و البنفسجي لون الثراء في رأيه.

سألته بعد أن انتهينا عن لونه المفضل من كل الألوان، أجاب:

- الأسود، هو لون عالمي، والوحيد الذي وهبني نعمة رؤيته، الأسود لون الخيال ودعيني أنا أخبركِ هذه المرة أنه لو كان الأسود شعورا سيكون الاحتواء.

طرفت بعيني بانبهار، قلت له:

- أنت شخص مميز للغاية، هل تعلم هذا؟ حديثك ممتع.

بدى سعيدا، ويبدو أنه قد شعر بالخجل أيضا أطرق برأسه يخفي وجهه الذي فضحه لون "الحياة" فيه للحظات ثم قال:

- لو كنتِ لونا يا آنستي لكنتِ الأصفر... أنت بلون الأصدقاء، محظوظ من يتعرف إليكِ!

انتابتني القُشعريرة، سَرت حول رقبتي و ذراعيّ وباقي الأطراف، ما الذي تغير؟ فقط في المحطة السابقة كنت... والآن؟ أخبرته عن المحطة السابقة و عن إحباطي الشديد من فعل الصيفية، البوح للغريب مريح للغاية، يجعلك تتحرر، سيأخذ شعوركِ السيء ويرحل و سيظل في مأمنٍ معه، لا أعلم هل أخبرته بالقصة لأثبت له أنه على خطأ أم ليخبرني هو شيء يجعلني المخطئة؟

قال:

- يبادر الناس في العادة بقول أمورا سيئة عن الشخص الذي أزعج من يشكو لهم، أما أنا، فلن أفعل... اعتقد بأن هذا الفعل يشعرنا بالسوء أكثر.

الآنسة الصيفية لم ترد أن تصبح صديقة لكِ ولا بأس في هذا، لماذا تظنين أنكِ شخص أقل بدونها؟ هذا تفكير خاطئ، الصداقة أمر حساس يتعلق بالجودة لا الكمية، احصلي على صديق واحد صادق ولا تحصلي على ألف صديق لا يعلم عنكِ شيئا، تأكدي بأنكِ تستحقين الأفضل، و بالتأكيد الأفضل ليس شخص لا يريد صداقتك.

صمت قليلا ثم تابع:

- مديح الشخص في وجوده مذمة في رأيي، لكن سأصنع استثناءا هذه المرة، أنت يا صفراء شخص يستحق، كوني متأكدة من هذا.

بكيت، كانت دموعي صامتة، كنت سعيدة بأنه ليس عليّ أن اخبئها أمامه، قلت أنه كناري و الكناري أصفر، إذن فهو أيضا بلون الأصدقاء، و كنت المحظوظة بأن قابلته.

مسحت عينيّ من الدموع سريعا ثم عدت بنظري نحوه لأشكره جزيلا، وجدت عامل القطار واقفا في الفاصل بين مقعدينا، رفعت رأسي قِبلة وجهه لأسأله:

- ماذا هناك؟

اتخذ المقعد بجواري مجددا ليبتعد مخلفا ما اكتشفته مع لحظة همسه بالأمر:

- لقد رحل! مثل أي عابر طال أمد بقائه أو قَصُر.

حزنت، أردت أن أمضي وقت أطول معه، كان الكناري مميز فعلا كما أخبرته، ترك وقعا في نفسي لا اعتقد بأنه سيتغير يوما، أهداني كلمات سأحتفظ بها كذكرى، وسأظل ممتنة له، أما الفراق فكما قال عامل القطار لابد أن يحدث عند نقطة ما.

تنهدت بعمق ثم حدثت عامل القطار:

- متى سنصل إلى المحطة القادمة؟

قال:

قريبا.

مد يده بظرف كبير أصفر، قال لي احتفظي به، سيحين موعده في المحطة بعد القادمة، إياكِ و الفضول، لا تفتحيه إلا عندما أطلب منكِ ذلك.

تعجبت و شعرت بالغيظ نوعا ما، في العادة أنا شخص شديد الفضول، لذا ما يفعله بالنسبة إليّ محض تعذيب، أظل أخبر نفسي بأمور لا تساعدني على الصبر ابدا، شيء من قبيل: ماذا لو مِت قبل أن أعرف ما به؟ ماذا لو فُقد؟ أو يسرقه أحدهم ولا أعلم ما سره، سأنزعج بشدة.

ضحك عاليا ثم قال: ليكن هذا اختبارا جيدا لصبرك، أراكِ لاحقا.

الهدوء الذي اكتنف العربة كان مزعجا قليلا بعد أن امتلأت بالأحاديث منذ قليل، أغمضت عيني لأستشعر لحظات الهدوء و أشعر بالإمتنان أكثر حول العديد من الأمور، أردت أن أضع تعريفا جديدا لقيمتي الحقيقية و كيف أحددها، شعرت بكياني يتهدم راغبا في إعادة بناء وإعادة تعريف، همس صوت بداخلي أعرفه، قال: لا تزال الطريق طويلة، لكن يمكنكِ الاستمتاع بالرحلة من وقت لآخر.

وكان.

غرائبية المحطة الجديدة

استندت بركبتي على المقعد الوثير وتمسكت بمسند الرأس كطفل يتلفت بفضول لرؤية الجالس خلفه، رحت أتأمل من النافذة الواسعة على يمينيوابتسم، هبة الحياة في أعظم صورها بسيطة، بدأت أحب التوقف و التطلع إلى وجوه الناس، أتمعن فيها و أتخيل ماذا يمكن أن تكون قصة كل شخص منهم، كان عامل القطار مستيقظا، على وجهه علامات رضا مبتسم ولا تعليق.

وجهت له حديثي:

- تبدو مغرورا قليلا، هل تعلم هذا؟

حرك كتفيه بلامبالاة وأجاب: عينك و ما ترينه.

سألته، هل تعرف من سيدلف من الباب الآن؟

ضحك بدون صوت فضاقت عيناه ثم حرك رأسه نفيا و قال:

- وكيف سأعرف؟ لست ساحرا ولا أعلم الغيب، أجلس في العربة مثلي مثلك، أتطلع للقادم و أتمنى أن تتابعي التعلم وتلتفتي لما يهم فعلا، ليست كل المحطات كالمحطة الفائتة يا فتاتي، لننتظر ونرى من في الطريق إلينا؟

فُتح الباب أخيرا و كان القادم...

قِط؟! صحت باحتجاج وأنا أحدق بالسيد المبتسم في الخلف

هذا قط؟ هل تلك دعابة؟ إنها سخيفة للغاية.

نظر إلى الحيوان ولم يكن على وجهه أي تعابير، راقبه للحظات، كان يتخذ طريقه في البهو الصغير بين المقاعد

رافعا ذيله يتبختر بغرور كبير، رفع العامل رأسه نحو الباب ثم عاد بها نحوي وقال:

- تم إغلاق الباب! لسبب أجهله هذا القط شريكك لتلك المحطة، رحبي به!

أشرت بسبابتي نحو القط الأشقر المغرور وقلت بانفعال:

- هذا الحيوان شريك؟

لعق القط إصبعي الممدود نحوه ثم أصدر صوت مواء قبل أن ينخفض نحو عقب قدمي و... قام بعضي!

استطعت رؤية أثر نابيه الشريرين على جلدي صحت به بعد أن قفزت على المقعد:

- أيها الوغد الصغير، ماذا فعلت!

تابع موائه وأخذ يقترب أكثر، يمرر جسده ماسحا فرائه بساقي دون أن ينتظر أن أسمح له بذلك حتى، أهو نوع من التواصل؟ ماذا يفعل؟

عقد عامل القطار ساقيه بعد أن قام بتمديدهما أمامه وقال قبل أن يضع قبعته على وجهه ويسند رأسه بكفيه:

- لقد أعلن عن ملكية صريحة لباقي القطط، لا تقترب من هذا الشيء فهو ملكي، ضحك عاليا وقال: استمتعي!

صرخت به:

- انتظر لحظة! ماذا سأفعل مع هذا ال... هذا الشيء! لم يسبق لي التعامل مع قطط أبدا.

فك ذراعيه فاردا كفيه في الهواء للحظة في علامة جهل رفع كتفيه صانعا بشفتيه قوس نحو الأسفل:

- مهمتك، اراكِ لاحقا!

كنت أقفز من مقعد لآخر خوفا من أن تلمس كرة الفراء قدمي أو ساقي مجددا، صرخت بشدة:

- عليك ألا تتركني وحدي في مواجهة هذا!! أليست سلامتي مهمتك؟

تمتم من تحت قبعته فلم يكلف نفسه حتى عناء رفعها:

- إنه مجرد قط، ليس أسد أو نمر.

كان القط يدور من حولي، وها هو ذا يقترب عبرت من فوق مقعد قاصدة الذي يليه كي لا ألمس الأرض في طريق عودتي إلى مكاني عندما سقطت في الفراغ بين مقعدين، الأمر الذي أصابني بالهلع فها هو القط فوق رأسي تماما، رفع مخلبه عاليا و بكل لؤم في الوجود ضرب عيني، ليس مرة واحدة فحسب بل ثلاث ضربات متتابعة قبل أن يعلو صوت موائه و يبتعد ضاربا وجهي بذيله.

تابعت الصراخ بلا توقف، نهضت وأنا اخبئ عيني المصابة أسفل كفي، أحاول تحديد موقع الوحش الصغير، شعرت بالألم ولا أعرف كيف لتلك القدم الصغيرة أن تلكم بتلك القوة؟ الوغد أراد ايذائي في لحظة ضعفي دون أي شعور بالذنب.

عدت إلى مقعدي بعد أن فقدت الأمل في العامل المزعج، جلست مربعة ساقاي فقد خفت أن أنزلهما فيأتيني القط من حيث لا أعلم، لم أكن خائفة منه، لم أتعامل مع أي قطط أكثر من رؤيتها تتمشى بغرور في الشوارع أو تجلس على الحواف في الأرجاء متخذة وضع الغيمة أو الحلوى القطنية، أبقيت عينيّ على تحركاته حتى جلس واستكان، سحبت نفسا عميقا وزفرته، كنت أشعر بالجوع الشديد، توجهت نحو دولاب الطعام لأعد أي وجبة سريعا قبل أن

يلحظني، عدت أنظر حيث موقع تواجده... ماذا!!! لم يكن هناك، أين ذهب النذل الصغير؟

وجدته أخيرا دون الحاجة لبحث طويل، كان يربض فوق قدمي، رفع رأسه نحوي و بدأ جولة جديدة من المواء، أخبرت نفسي بإحباط:

- يبدو جائع!

أعطيته طعاما فأكل، أخذ يلعق جانبي فمه فظهرت أسنانه الحادة، جلست أمامه اراقبه حيث انتقل من لعق جانبي فمه إلى لعق فرائه: أهذا وقته؟

تأملته، لا تبدو مخيفا إلى هذه الدرجة، لكن لا زلت لا أستطيع لمسك، ملمسك يقشعر منه بدني كثيرا، لا يمكن.

كان قد انتهى من لعق فرائه، تقدم نحوي ليتابع حك جسده بجانبي ذراعي هذه المرة، مددت يدي لأبعده عني بحذر،

قبل أن تصل يدي إلى رأسه ضربني بقبضة "الهلالي" خاصته صحت به:

- ناكر للجميل، لن أطعمك مجددا... ابدا!

أخذت طعامي و عدت لأربع ساقي في انتظار أن يختفي...ولم يختفي.

أشرت نحو الباب عله يفهم ما أريد قوله:

- هيا أذهب، مع السلامة.

تثاءب بملل ثم دار حول نفسه، أغمض عينيه الخضراوين و نام.

تمتمت:

- نوم الظالم عبادة، أنصحك أن تتعبد أكثر... هذا في صالحك لا صالحي كما تعلم، لو اقتربت مني سأضربك.

**

مر الوقت ولم يختفي، لاحظت وجود ورقة مطوية موضوعة في طوق حول عنقه، اقتربت منه بحذر شديد، سحبتها لأقرأ ما كتب فيها، ربما أهمس بكلمات سحر فيختفي! ضحكت من نفسي ببلاهة و أنا أقول: علي أن أكف عن السخافة.

كنت أمزح طبعا، هذا لن يحدث قريبا فلولا السخافة ما تغلبت على لحظات الإحباط.

قرأت ما كُتب:

- هذا القط لا يحب أحد ابدا، توقفت لأجيب وقد انتقلت ببصري إليه: أجل لاحظت هذا!

تابعت القراءة:

حاولنا أن نغير سلوكه ولم نفلح، لو حصلنا على كلب لكان أوفى و أفضل، ربما يجد شخص أفضل منا، لكننا نشك، حتى في هذه الحالة سيظل يكرهك، مهما دللته.

طويت الورقة واحتفظت بها في جيب قميصي، حدقت في القط النائم بنصف عين، افترشت الأرض أمامه وقلت أحدثه:

- إذن فقد هجروك من أجل كلب على الأرجح، وبعد كل هذا تجدني أنا دونا عن كل البشر في هذا العالم الواسع... أنا!! أتعلم؟ أنت أبله، الأمر المؤكد أنني لست الشخص الأفضل.

راقبته للحظات، هل يتوجب عليه أن يحب أحدا وهو من تعرض للخذلان؟

لا أعرف قصتك أيها الصغير اللئيم، لكن ماذا لو أن من كتب هذا ليس الشخص الأول الذي قام بالتخلي عنك؟ يظن

البعض أن الحيوان لا يشعر، قرأت وسمعت و رأيت قصصا كان الحيوان بطلا فيها، أؤكد بشدة أنه كائن حساس عكس ما نظنه تماما. قمت بفرد الرسالة مجددا، وقعت عيني على عبارة "لو حصلنا على كلب لكان أفضل"، لا أعلم لما استفزتني هذه العبارة وبشدة.

تمتمت محدثة نفسي: أحدهم لديه أزمة ثقة! يقولون الكلاب وفية، ويحبون خضوعها، لو كان عليّ الاختيار بين قط وكلب سأختار القط فولائه الأول لنفسه وكفى.

جعدت الورقة و رميت بها في سلة المهملات، أسندت كفيّ إلى خصري وأخبرته:

- ليس عليك أن تحبني، وليس عليّ أن أحبك... نحن متعادلان.

عدت إلى مقعدي، أغمضت عينيّ وأرحت رأسي لبعض الوقت.

**

استيقظت على صوت مواء فانتفضت أبحث عن مكانه، لمحت تساقط الثلوج خارج نافذتي، نهضت من مكاني و توجهت أراقب هدوء المنظر، بدت الأرض و كأنها ترتدي ثوب عرس أبيض، الثلج يهبط بهدوء حتى يكتمل الفستان، استندت بكلا يداي على الزجاج، المنظر في الخارج مهيب وكأن السماء تهمس سرا للأرض.

دمعت عيناي لذكرى مرت بي لكن الماضي يُفضل ألا تزعج نومته، لا داعي لنبش شاهد قبره الجميل.

أخرجني القط من حالة الشرود وهو يدور متنقلا فوق قدميّ طلبا للعب أو ربما مزيد من الطعام، لا أفهمه بعد،

لكن كنت أقل هلعا من السابق، توجهت نحو رأسه بيد غير متأكدة:

- مرحبا أيها الكريه!

هذه المرة استخدم أظافره ليصنع ثلاث خدوش متوازية نضخ منها الدم وصرخت أنا.

صحت فيه:

- وضيع! أتعلم أمرا، لا عجب أنهم قد تخلوا عنك، أنت قط مجحف!! دفعته بعيدا عني وذهبت لغسل الجرح، هذا الوغد الصغير لم يشعر بنقطة ذنب حتى، أخذ يتلوى على الأرض و يموء بمرح كأنه يتشفى، سعيد بما فعله بي.

فكرت وأنا أراقبه: اللعنة، متى سيختفي؟

مع مرور الوقت زادت محاولات لمسه و زادت معها آثار الخدوش و العض، تجاهل طويل ثم ينجح في خداعي كل

مرة بعينيه الدائريتين اللامعتين والسخيفتين في الواقع، لم أنجح في الحصول على أي علامات تدل على أمل في نقطة من عاطفة في قلبه المجمد كالقطب، و لا، لم أحبه أبدا... أو لنقل أحببته قليلا جدا، بالكاد ترى المقدار، لم أحاول استجداء حبه، ولم أغير صوتي ليتلائم مع أذنيه الصغيرتين أو أفرك معدته مثل بلهاء - لا تفعلوا هذا - يا إلهي، كيف تمتلك القطط كل هذا الشر خلف هذا الوجه الصغير البريء الظريف!!

أعني بالطبع أن هذا لا يغير حقيقة أنني لم أحبه و أنتظر اختفائه بشدة.

شعرت بالإرهاق بعد يوم طويل، فقررت أخذ قسط من الراحة، كان القط في مكان ما من العربة، لا أعلم أين و لم أبالي، فمع مرور الوقت معه لم أعد أخشى لمسه لقدمي

ملهمون

فجأة أو اقترابه المفاجئ متبوعا بضربة وابتعاد مفاجئ...

هو مجنون.

استغرقت في النوم لفترة، عندما سمعت صوت عامل القطار يحدثني:

- يبدو أنكما حصلتما على هدنة، هذا مفاجئ!

حككت شعري بعدم فهم وأنا أسأل:

- ماذا تقصد؟

أشار برأسه فنظرت حيث فعل، كان القط على المقعد بجواري، ينام بسلام مغمضا عينيه بشدة، حمله برفق ليحصل بالمثل على خدش ثلاثي بشوكة الشيطان في كفه الصغير، لكنه لم يهلع من الأمر بعكسي، ضحكت مما حدث له، قفز القط ليكمل نومه فوق ساقي، كنت مندهشة

تماما، شهقت بانفعال سعيد و أشرت لعامل القطار: هل رأيت؟

اومأ برأسه ايجابا وقال:

- انظري، لقد فعل بي ما فعله بكِ في لقائكما الأول، الأمر ليس شخصيا.

يظن البعض أن الحب يرتبط ببعض الأفعال المعروفة، لو لم يحصلون عليها حسب الإرشادات ومثلما يفعله البعض لا يحتسبونه حبا، هذا القط يحب بطريقته لا بطريقتنا والأهم أنه يحب نفسه قبل أن يقرر حب شخص آخر، يضع نفسه قبل الجميع وينطلق من هناك.

أظن أنه يحبك، لقد حصل على شخصه الأفضل وآن آوان الاستراحة.

حدقت بالقط بدى سعيدا، يستخدم دفئي ليتدفأ و يدفئني، تمتمت برضا: يحبني! إذن فقلب الثلج يستطيع أن يحب حتى لو كان على طريقته، هذا لطيف!

سألته وأنا أداعب فراء القط:

- ماذا لو آذانا هذا الحب؟

أجاب سريعا:

- نتركه يرحل.

ضحك وتابع:

- اعتقد بانه كان إلهاءا جيدا كي لا تفتحي بريدك الخاص قبل أوانه.

صحت بحماسة:

- البريد! نعم... نسيت أمره تماما، هل أفتحه الآن؟

نظر في الساعة حول معصمه الأيسر ثم قال:

- كل شيء في أوانه جميل، صبرا لبعض الوقت، ريثما نصل إلى المحطة القادمة...

نهض وتوجه نحو النافذة ليتطلع نحو الخارج، ابتسم وقبل أن يعود إلى مكانه في الخلف قال:

في هذه الأثناء، استمتعي مع مدللك اللطيف هذا، أراكِ لاحقا.

قلب باندورا... احتفظ بالأمل

مواء لا يتوقف أيقظني، اعتدلت جالسة لتصطدم نظراتي بالقط! اندهشت:

- ماذا! مجددا، لم يختفي بعد؟ هل أصبحت مقررا عليّ يا ولد؟

لم أعلم ابدا إذا كنت شابا أم فتاة، هذا مهم، فلو كنت شابا لن أحدثك في أمور الفتيات، حدقت به بثبات، شعرت أنه يفهمني، تجاهلني وأخذ يلعق ذيله ليمشطه فتجاهلته و أنا أنظر خارج النافذة.

رأيت سربا من حمامات بيضاء، كن يحلقن بسعادة في دوائر تتسع و تضيق، منظر خلاب يأسر قلبي في كل مرة

أراه وكأنها المرة الأولى، تنهدت وأنا أفكر في اولئك الذين لا يعطون الوقت لأنفسهم ليتأملوا ما حولهم، العالم يسير بسرعة غريبة وبالكاد تجد وقتا لفعل أي شيء، فهم في انشغال دائم بهواتفهم و العوالم فيها.

أصبحت حركة القطار أبطأ، إذن محطة جديدة! ذهبت إلى مقعدي لأجلس و استعد للقاء المسافر الجديد، تذكرت ما حدث في المحطة السابقة وقلت متمنية بصدق:

- لا، يا إلهي أتمنى ألا يكون حيوان آخر!

وقف القطار، كنت في حالة ترقب شديدة عندما توجه عامل القطار نحو الباب ليدير القفل معلنا:

- أنا شريكك لهذه المحطة، لا مسافرين جدد!

سألته بفضول:

- ماذا تفعل؟ سيأتي الشريك الجديد في أي لحظة لو وجد الباب مقفل سيفوت رحلته، ستحدث مشكلة! توجهت نحو الباب فأوقفني قائلا:

- قلت لكِ، تلك المحطة استراحة، هدنة لبعض الوقت، أعيدي ترتيب بعض أولوياتك، قومي بتثبيت مفاهيم جديدة، اصنعي قرارات و التزمي بها، كوني بمعزل لوقت قصير و سأساعدك في هذه الأثناء.

انهى حديثه وابتسم ببرود شديد، برود اعتدته،

سألت وأنا أشير إلى القط برأسي:

- لما لم يختفي بعد؟

رفع كتفيه متمتما بينما أبقى عينيه على كرة الفراء:

- لأنكِ لستِ مستعدة لرحيله، على الأغلب.

لم يبد اهتماما أكثر، توجه نحو مقعدي وأخرج الطرد المنتظر من حيث وضعته، مد يده به نحوي قائلا:

- دعكِ من القط الآن و تفضلي... افتحيه!

لا أنكر، شعرت ببعض الريبة، بدأ القطار بالتحرك مجددا، شبك كفيه خلف ظهره و أشار برأسه نحو الظرف، تنهدت...

- تثاءبت وقد بدأت أشعر بالنعاس-

قمت بتمزيق طرفه لأخرج محتواه، كان...

أعدت المحتوى إلى الداخل سريعا و أنا أرفعه في الهواء وأشير:

- لا! ليس...لا!! هذا الأمر انتهى ولا أريد أي حديث بشأنه على الإطلاق، درت برأسي حول المكان حتى وقعت عيناي على ضالتي، قداحة أمسكت بها، أشعلت طرف

المظروف فالتهمته النار سريعا، رميت به في الهواء ليهطل كمطر رمادي في كل أرجاء العربة.

وقف عامل القطار يراقبني بهدوئه المعتاد، جمع بعض الورق المحترق ثم قام بوضعه بين كفي ليعود إلى سيرته الأولى.

تعجبت، غضبت بشدة، ماذا يظن نفسه فاعلا؟ تلك الصور جرح لم يندمل بعد ولن يندمل ابدا، تلك الصور في الواقع جرحين وليس واحد.

رميت بهم أرضا كما لو تعرضت لصاعقة، تراجعت إلى الخلف حتى أصبحت النافذة خلفي تماما، استندت إليها وأنا أحدق به، قلت بانفعال:

- أرجوك، عد إلى نومك ولننهي تلك المرحلة بسلام!

حرك رأسه نفيا وقال:

- لا سلام إن لم نعلن حربا... أنت في مرحلة خدر طال الأمد فيها وانتهينا، عليكِ أن تتصالحي مع ماضيكِ مهما كان سيئا، المشكلات لا تختفي عندما توليها ظهرك، تعلمين هذا.

- بل تختفي، لقد انتهت منذ زمن!

- من قال هذا؟

أشرت إلى نفسي بكفيّ، كنت منفعلة، وكأن كل المشاعر السيئة قد تحالفت ضدي فجأة.

التمعت عيناي بالدموع، الصور لقطة تحمل ذكرى وبعض الذكريات مخيفة، حتى وإن كانت غير مؤذية، مخيفة لأنها مرت ولن تعود، لأنها لحظة احتفظت بشعور نسينا كيف امتلكناه يوما، ازدردت لعابي وأنا استعيد ذكرى ما جاء في الصور بالتفصيل...

**

حملت آلة التصوير اراقب المكان من حولي باستمتاع بالغ، حديقة الفراشات المنسية، مكان خلاب محاكاة للجنة في خيال الطامحين إليها، كنت أتمشى في الأرجاء الخضراء الواسعة، أردت أخذ صور للفراشات الملونة في موسم الربيع، وأن أرى مهاراتي في التقاط الصور، كنت أتحقق من آخر صورة التقطها وأنا أتابع السير فاصطدمت به، كان يطعم الحمام فيدور من حوله و يتخذ من كتفه ملاذا، يقف بحلته الباهظة، لا يهمه ما تتركه من آثار لفضلات ملوثة هنا وهناك، رفعت آلة التصوير سريعا والتقطت صورة له، تشك!

الأمر الذي جعله يلتفت نحوي، فاسرعت والتقطت صورة أخرى.

كانت تلك إحدى الصور...

حدثني قائلا بنبرة منزعجة:

- المعذرة يا سيدة، هل طلبتِ إذني قبل التصوير؟

شهقت وأنا أغطي فمي بيدي زاغ بصري أبحث عن مبرر مظهرة بعض التوتر:

- لا، أنا آسفة! لكنك تبدو وسيما للغاية، فلم أفكر للحظة أخرى!

ضحك وقال:

- ما هذا؟ لا يمكنك قول هذا، أنتِ امرأة وقحة.

حركت رأسي نافية ما يقول وأخبرته:

- بل قل امرأة مُحبة!

أشاح بنظره بعيدا وأخفى فمه بكفه، لم أعلم أكان يضحك أم يتظاهر بالضحك.

لم تستغرق الإجابة عن تساؤلي طويلا فقد عاد بوجهه المحمر إلي وقال:

- أنتِ لا تصدقين!

تسمرت في مكاني وأنزلت كلا ذراعي بجواري مثل وقفة جندي، أملت رأسي نحو اليمين وقد أظهرت علامات صدمة مما قال وقلت: أما أنت فزوج لطيف.

ابتسم وهو يدفعني لأتحرك معاتبا: تأخرتِ! قلت لك عدة مرات ألا تسيري مطأطئة رأسك، هذا خطر، عليكِ أن تستمعي لما أقول.

ضحكت من قوله ثم رفعت آلة التصوير لتفحص آخر صورة التقطها وأنا أجيبه:

- لا تقلق عليّ، أنا منتبهة! عذرا، لم أشعر بالوقت، التقطت الكثير من الصور، دعني أريك!

بدى وجهه منزعج بشدة وقال بإحباط:

- حسنا، كل عام وأنا بخير، على أية حال؟!

- همم؟

- لقد نسيتي.

شَهَقت بشدة لدى اكتشافي لفداحة فعلي:

- يا إلهي كيف نسيت؟ لم...

أكمل هو العبارة:

- لم تحضري هدية، أليس كذلك؟ كنت أعلم... أنا زوج لطيف، سأمررها!

أحطت ذراعه بذراعي واستندت برأسي على كتفه:

- بل أنا الزوجة الأسوأ على الإطلاق، سأحضر لك هدية رائعة، أعدك!

تنهد وقال وهو يسحب آلة التصوير من بين يديّ:

- فقط أعطني تلك الآلة التي تشاركني فيكِ منذ عدة أيام الآن حتى أصبحت حصتها الأكبرمؤخرا.

- التقاط الصور ممتع، ألا توافقني الرأي؟

وجهها نحوي والتقط صورة، رفعت ذراعي لأخبئ وجهي فباءت محاولتي بالفشل، نظرت إلى الصورة، مِلت برأسي نحو الخلف وأنا ابتسم كبلهاء، التقط صورة أخرى فتحت فيها ذراعاي ووقفت على ساق واحدة لأبدو كطائر يحلق، الصورة الخامسة التقطتها أنا بهاتفي، كانت له يصور حمامة وقفت فوق الآلة، تحدق في العدسة بتعجب، كانت لقطة ممتازة لهما، أحببتها كثيرا، حتى هو أحبها، كان يوم سعيد، أمضينا بقيته سويا في مدينة الألعاب.

**

حلبة ثلج بيضاء، ناصعة البياض، مسيجة بسور قصير، البرد يملأ المكان الواسع، وفي الحماس دفء، وهو مجددا يتحدث معلقا:

- وها هي المتزلجة الأشهر في هذه المنطقة والمناطق المجاورة، والمناطق التي تجاور المناطق المجاورة والمعروفة بذيل الطاووس تتهادى في أرجاء المكان، تدور وتدور دون توقف واااا... قفزة ثلاثية اعزائي المشاهدين، هل رأيتم هذا؟ إنها الأروع على الإطلاق والفائزة بجائزة هذا الموسم الذهبية والفضية و البرونزية و الارجوانية و كل الجوائز هي....زوجتي!

ضحكت من أسلوبه بشدة، ما تسبب في اختلال توازني فسقطت أرضا ولم يمنعني هذا من متابعة الضحك حتى أمسكت بخصري، التفتت برأسي نحوه و أنا أقول:

- هيا توقف عن هذا!! لا يمكنني التركيز وأنت تلعب دور المذيع، صوتك يضحكني.

اندفع نحوي ليرى إن كنت قد أصبت، وضع يده فوق صدره ثم قال متفاخرا:

- آه، اصمتي، صوتي جميل! أنتِ فقط تشعرين بالغيرة.

ساعدني على الوقوف فضربت كتفه بلطف وقلت:

- هيا توقف الآن، لا أريد معلقا أريد مشجعا!

تبدلت ملامحه لتصبح أكثر درامية متابعا التعليق :

- إنه حزين، إنه على وشك البكاء الآن فاللاعبة الملقبة بقلب الجليد قامت بطرده أمام الجمهور دون أي مراعاة لكرامته، لقد تجمد ماء وجهه وسقط و تكسر، هذا وقد قام بالتعليق على الأمر سريعا، قال هذا وهو يضيق عينيه متظاهرا بالحزن الشديد، قام بتحريك كفيه كما لو كانتا

ترتعشان و بصوت متهدج سعل و تابع: أرجوكِ، أنا في حاجة إلى الخبز من أجل أطفالي! و أشار نحو صناديق القمامة التي وضعت بالقرب منه.

نظرت حيث أشار، تابعتُ الضحك وقلت: كفى! أنت مطرود... هيا اذهب واجلس مع الجمهور هناك.

كان المكان فارغ إلا منا، توجه إلى حيث أشرت له و صاح، هيا هيا ذيل الطاووس، إلى الأمام، أنت الأفضل، أخذ يصفق ويصفر ثم نظر إلى يمينه شزرا و تظاهر بشجار مع شخص وهمي من الجمهور؛الغير موجود؛ لأنه يشجع لاعبة ما ؛ خيالية؛ تنافسني بضراوة.

تمتمت لنفسي قبل أن أتابع التزلج: لقد تزوجت مجنون!

تزلجت بسعادة وهو يشاهد، دخلت إلى المكان أم وطفليها، فتى و فتاة، وقفا إلى جوار زوجي و لاحظت أن المرأة بدأت بتبادل الحديث معه، كانت الفتاة الصغيرة تراقبني

باندهاش وإعجاب واضح فشجعني الأمر على إظهار مزيد من مهاراتي وحركاتي المبهرة، كنت أتباهى؟ نعم، فالتزلج بالنسبة إليّ متنفس.

أنهيت العرض ورفعت ذراعي منخفضة بجذعي، فصفق الصغيران و علا صوت صفير زوجي مجددا، توجهت حيث وقفوا جميعا، قالت الصغيرة بسعادة:

- أمي، أريد أن أصبح مثلها!

انخفضت نحوها وقمت بجذب خديها بلطف وأنا أخبرها:

- بل يمكنك أن تكوني أفضل لو أردتِ!

صاحت الفتاة بحماس:

- حقا! هل تدربيني؟

تبادلت النظرات مع الأم للحظة وجدتها تبتسم وهي تومئ برأسها موافقة، فعدت للطفلة وأجبتها:

- على الرحب والسعة!

قفزت الفتاة وأحاطت رقبتي بذراعيها ثم طبعت قبلة طويلة على خدي، تجعد جزء من وجنتها أسفل عينها في كل مرة تبتسم فبدت غاية في الظرف، كانت تقفز مثل أرنب صغير سعيد.

توجهت بنظري نحو زوجي، كان على وجهه ابتسامة غاية في الجمال، ابتسامة أحببتها كثيرا، لكنها كانت سببا في حزني بعد ذلك وكانت تلك صورة أخرى.

**

لما لا؟ أعطني سببا وجيها لرفضك التام، لا أفهم! حبيبتي أخبريني.

مسحت وجهي بيداي واطبقت شفتيّ للحظة ثم قلت:

- ما لا أفهمه أنا هو أنت، ما الذي جعلك تظن أنني غيرت رأيي فيما يخص الأمر؟ حاول أن تفهم، أنا لا أرغب في الإنجاب مطلقا، أبدا! أخبرتك بهذا قبل الزواج، ألم تأخذ كلامي على محمل الجد؟ ما الذي تغير، قل لي!

قال بصوت محبط:

- كل شيء، الكثير من النساء لا يرغبن في الإنجاب خوفا من الأمر مبدئيا ثم يتغير كل شيء بعد الزواج.

حدقت به للحظات، رمشت بعيني ونهضت من مكاني لأتحدث وأنا أوليه ظهري، لم أرغب أن تتلاقى عينينا وأنا أخبره بما كنت على وشك قوله، شيء ما في عينيه جعل الأمر صعب بالنسبة إلي، لكنني قلت بإصرار:

- ألا تأخذني على محمل الجد؟ لا أريد الإنجاب، لا أريد تحمل مسؤولية طفل، أريد أن أبقى كما أنا، لا أريد زيادة غير مرغوبة في وزني يعقبها توقف عن ممارسة التزلج،

أنا... سعيدة هكذا، أما أنت؟ ... يبدو أنك غير راضٍ، أنت من تغير وليس أنا.

زفر، اقترب مني وأمسك بكتفيّ، تحدث بهدوء مفتعل و كان واضحا حتى لطفل أنه يكبت شعوره:

- عزيزتي ما هذا الذي تقولينه؟ أنا سعيد، لو لم أكن سعيدا ما كنت لأطلب منكِ إعادة التفكير في الأمر، جربي، أعيدي التفكير مجددا وسأكون بانتظار قرارك، خذي كل الوقت اللازم لهذا وأخبريني.

أبقيت على صمتي دون أن التفت نحوه، سحب كفيه عني وابتعد سمعت صوت إغلاق باب المنزل، توجهت نحو النافذة لأراقبه، تمتمت له وكأنه يسمعني:

- لست بحاجة إلى التفكير، أنا لا أريد، ولا شيء سيغير رأيي أبدا.

كنت أسمع صوت أنفاسي مع تكات الساعة الرتيبة، راقبته، وقف على الرصيف، كان شعره البني الجميل مشعث على غير العادة، حل ربطة عنقه، الجو بارد ولم يرتدي معطفه حتى، مررت سبابتي فوق صورته البعيدة المصغرة، اعترتني رغبة شديدة في البكاء، فبكيت، بكيت وبكيت لأنني أعلم، منذ مدة عرفت بأنه سيأتي على ذكر الأمر، سيعيده قيد النقاش، لطفه الشديد مع الأطفال، ركضه مسابقا الآباء الآخرين نحو أي طفل باكٍ ليتحقق إن كان بخير، الحلوى التي يحتفظ بها في جيبه دائما ليشاركها وابناء أصدقائه، كنت أعلم أنني أحرمه من الأبوة وهي تليق به كثيرا، كنت عثرة في طريق سعادته، هو يريد الأمر، يريده وبشدة، أما أنا فلا مجال حتى لتفكير.

**

عدت مجددا إلى اللحظة الراهنة، كان عامل القطار خلفي، وأنا افترشت الأرض بينما حوت يداي مجموعة من الصور أرسلها الماضي ليذكرني، أرسلها ليتأكد ألا أنسى، مع الصور كان هناك رسالة، أعطانيها قبل رحيلي فاحتفظت بها كآخر شيء منه، تركتها مغلقة لم اقرأها، شعرت أنها لم تعد تنتمي إليّ، لم أعد أستحقها.

حدقت بخط يده، بدى منمقا جميلا للغاية، أنيق يليق به بكل تأكيد، في قلبي غصة، مرت سنوات وبقي كل شيء كأن الوقت لم يمر، كنت عالقة في الزمن، حزينة للغاية، خسارته كانت مؤلمة، أكبر خسارة، وداعه كان الأكثر ألما، ولا زال يؤلم... تلك النظرة على وجهه لا أنساها...

بكائي كان صامتا هذه المرة، قلبي يحترق، تمتمت قائلة:

- هل أنت سعيد الآن؟ كنت أفضلك أكثر عندما كنت نائما في الخلف.

أجابني:

- أنا لا أنام...

تحرك القط فجأة ليركض في الأرجاء، كورت قبضتي لأخبئ فمي، ازدرت لعابي، القط يذكرني بنفسي، لقد تخلى عنا أقرب الناس إلينا، لم يفهمونا، لهذا رفضت رحيله...

- هو لم يتخلى عنكِ أنت من تخلى عنه.

صرخت، دافعت عن نفسي بصوتي المتحشرج:

- أراد أن يكون أبا بشدة، كان عليّ أن أختار نيابة عنه، ما كان ليختار لو تركت الأمر بيده، لم أرد أن يكون تعيسا، لم أرد إجباره على شيء لم يريده، عند نقطة ما كان سيكرهني، الكره بعد الحب قاتل.

- إذن تعترفين أنه لم يكن ليتخلى عنكِ، هل كنتِ تخافين كرهه لك أم كان هذا شعور بالذنب ناحيته؟

صحت به:

- ماذا تقول؟ ولِما قد أشعر بالذنب؟

- هيااا، لقد اتخذتي قرارا نيابة عنه، ألا يشعركِ هذا بالذنب ولو قليلا؟ في رأيي أنكِ لم تكذبي عليه، كنتِ واضحة معه منذ البداية، هو من ظن أمورا لن تحدث، الخطأ خطأه هو، لو أراد تركك لاختار هذا بنفسه، هو ليس طفلا لتقرري عنه.

جلس أمامي، حدق مباشرة في عيني وقال:

- أما الخطأ الوحيد الذي ارتكبته أنتِ، أنكِ لم تخبريه بأسبابك الحقيقية.

نظرت إليه وأنا ابتسم بمرارة:

-وهل يشكل الأمر فارقا؟ أعطيته سببا ليرحل ورحل، لا تهم الأسباب، لو شكل السبب فارقا فالداعي إجبار.

استندت لأقف، توجهت نحو النافذة، كنت انتفض، تابعت حديثي:

- تعلم لماذا لم أخبره أسبابي؟

أسرع باستنتاجه:

- لأنك لم تثقي به؟

التفتُ نحوه لأحدق به مباشرة وأتحدث بثقة:

- في كل حياتي لم أثق بشخص عرفته إلا به هو.

- إذن لماذا؟

جلست في مقعدي قرب النافذة وأنا أحدق شاردة في الخارج، كان الثلج يتساقط بهدوء شديد على عكس شعوري المتأجج بالداخل، قلت:

- في كل مرة كنت أعطيه سببا كان يبحث عن حل، كنت أعرف بأنه لن يستمع، لو أخبرته بالسبب ما كان ليفهم، لم يكن يعلم أنني لم أرد حلولا أردت قبولا فحسب، قبولا لما أنا عليه، لِما لا يمكنني أن أغيره وقد حاولت.

داعب ذقن القط بلطف وهو يقول:

- كان يعلم أنك تخفين السبب الحقيقي عنه، لذلك ظل يسألك، لم يقتنع بأسبابك.

تمتمت:

- لا يهم، جميعنا نحمل ندوبا وكل ما نريده هو شخص يراها ولا يرفضنا.

- كيف تخفين تلك العيوب ثم تلومينه على عدم رؤيتها، هل رأيتي أنتِ عيوبه؟

كنت أنتفض، لم يكن غضبا كان اشتعالا غير مفتعل، انهيار مفاجئ، قلت بصياح:

أخفيتها لأنني لم أرده أن يراها، كان عليّ أن أتعامل معها وحدي وأنا لا أجيد هذا، قررت وانتهى... ألم يقرر هو نيابة عني عندما ظن بأنني سأغير رأيي؟ هنا علت نبرة صوتي عن المعتاد وكأنها صراخ مكبوت نافذ الصبر:

- هو خطؤنا كلانا وليس خطأي وحدي!

شهقت، إنها المرة الأولى التي أعترف فيها أن جزء مني يلومه!

نظر إليّ، عيناه خارقتان، لابد أنه قادر على قراءة أفكاري، قال مغيرا الموضوع:

- تخليتي عن التزلج، لماذا؟

استدرت وعيناي تلتمعان بالدموع كنت كظل مرسوم على النافذة، ظل بائس لا يجيد التعبير إلا وحيدا، لماذا نجد الكلمات في وحدتنا ولا نجدها عندما نريد قولها؟ صارعت الحقيقة فصرعتني و أجابت:

- لأنه يذكرني به! بعد انفصالنا لم يعد شيء كما كان، لأنك عندما لا تجد من يشاركك لحظات سعادتك تصبح تعاسة، لأنني أخاف، كل شيء برعت فيه انتهى، أخاف أن أعود فأسقط أو ترتجف ساقيّ، أن أواجه حقيقة أنني لم أعد أنا، أن ذيل الطاووس أصبح باهتا بلا ألوان.

فجأة مر طيفه أمامي وأنا أقف معه، كذكرى من الماضي مرت تحدثني، كان يقول:

- هل تعلمين لماذا أسميتك ذيل الطاووس؟

أجبته:

- لأن ذيل الطاووس أجمل ما يميزه، وأنا جميلة!

ضحك مني ثم اقترب و أمسك بكفيّ قائلا:

- نعم، أنتِ جميلة للغاية، اسمعي، أنا الطاووس وأنتِ ذيلي...

لم يردف فقط حدق في وجهي يراقب رد فعلي على ما قاله، ضربته مُعلقة: أنت مغرور!

ضحك مني مجددا كنت أبعده وأتظاهر بالانزعاج فتابع:

- ذيل الطاووس مصدر فخره بدونه هو طائر عادي جدا، وأنتِ فخري.

اختفى طيفينا من أمام عيني، شعرت بمرارة شديدة، غصة خنقتني تمتمت: الحب ليس كل شيء يا طاووسي الجميل.

كنت ابتسم والدموع تنساب، عدت أنظر نحو الثلوج، كم اشتاق إليها، أشتاق للتزلج وهو يشاهدني ويشجع، أتمنى

لو يتوقف العالم عند لحظة واحدة، لحظة أخبره فيها أنني رغم كل ما حدث لم أتوقف عن حبه يوما.

كان قلبي مثقل، وجعي يمتد لا ينكمش، عيناه الحزينتان وأنا أتظاهربالقسوة، معرفتي بأنني ربما لن أراه مجددا، عقابه لي بأن يختفي تماما ولا أسمع عنه شيئا كان موت بطيء، كنت أقتل نفسي، ولم يكن هناك سبيل آخر، لم يكن.

تحدث عامل القطار كما لو كان يسمع أفكاري:

- أنتِ أيضا عاقبته بالمثل، تركتِ كل شيء... كيف تعرفين أنه لم يحاول الذهاب إلى حيث يفترض أن تكوني؟

ابتسمت ثم ضحكت، ضحكت أسخر من قوله ومن نفسي ومن تلك المشاعر البغيضة التي أبت أن تحررني وظلت متعلقة به، أنا من دفعه إلى الرحيل وفي الوقت ذاته وددت لو أمسك بكفه لأمنعه.

دنا مني حتى وقف مقابلا لي، عيناه بهما بريق غامض، قال لي:

- يا ذيل الطاووس! كفِ عن العيش بين ظلال الخوف، اسمحي للوقت أن يمر خلالك ليصلح ما أفسده الغير فيكِ، لا يمكن للزمن أن يساعدكِ على التعافي إن أوقفتيه وبقيتي عالقة داخله مثل مصعد، لا منكِ بقيتي ولا منكِ رحلتي فقط أضعتِ عمرك هباءا بلا مقابل.

أجبته:

- يا عامل القطار، تركت باب الشعور مفتوحا فخرج كل شيء عن السيطرة ولم يبقى إلا البؤس حليف.

مد يده نحوي ليربت فوق رأسي بلطف قائلا:

- أنتِ قاسية على نفسك، كبداية لا يفترض بأن تبقى كل الأمور تحت السيطرة، هونا، كفِ عن لوم نفسك على كل

ما يحدث، بعض الأمور تحدث فحسب، ليس عليكِ أن تسيطري ولست مطالبة بالتظاهر بالقوة طوال الوقت، هذا الأمر مرهق للغاية، الحياة فوضى وما علينا إلا التعامل بما يمكننا فعله.

أمسك بالرسالة، تلك الذكرى النابضة، آخر شيء حصلت عليه منه، الخوف الذي يتربص بي منذ زمن...

ماذا لو علمت ما جاء فيها؟ ما الذي سيتبقى لي منه لاتطلع إليه؟

أمسكت بالرسالة احتضنتها بشدة وبكيت، بكيت بصوت عال، بكاء و إن كنت أكره الاعتراف بما يعنيه لكني ظللت أتحاشاه و اؤجله لفترة طويلة، إنه صوت الوداع والسماح لحياتي بأن تمضي نحو القادم.

عرض عامل القطار:

دعيني اقرأها لكِ لو لم تكن لديكِ الشجاعة لذلك؟

حركت رأسي رافضة وأنا أكرر في رأسي بلا توقف... لا أريد!!

صباح الخير، هيا أفيقي!

كنت أصرخ بلا توقف لا أريد، لا أريد! و مع صراخي كنت أقاوم، أتحرك برفض عنيف ما نتج عنه سقوطي المباغت على... أرض غرفتي؟!

كانت آثار الدموع في عينيّ وعلى وجهي، كنت أتنفس بلهاث متحيرة أين أنا؟ لقد كنت أحلم! ياله من حلم، الرواية التي كنت أقرأها بعنوان "ظلال الخوف"، بطريقة ما كنت مندمجة في أحداثها بشدة حد أنني حلمت بها بل وجعلت لي محطة خاصة قابلت فيها تلك الشخصية... عامل القطار! الطرد الذي تسلمته الفتاة تحول ليصبح لي.

اعتدلت جالسة ومسحت وجهي بيديّ، لا أعلم لماذا شعرت بإحباط شديد، أردت أن أعود مجددا إلى هناك، حيث كنت منذ قليل، لماذا استيقظت؟ حدقت في الكتاب وأنا أفكر،

عامل القطار شخصية تظهر باردة لكنه يمثل كل الدفء في رأيي، لو تسنى لي أن أمضي فقط مزيدا من الوقت معه، تنهدت وأنا أحدق في الغلاف، لم أشعر برغبة في متابعة الحكاية، ليس الآن وقد طُردت منها مثلما طرد الشيطان من الجنة، جذبني اسم الكاتب ملحقا بمعلومات التواصل به التي وضعت بخط صغير أسفل تعريفه في الغلاف الخلفي، واتتني فكرة بدت غاية في الجنون لكن أردت فعلها على أي حال...

أحضرت حاسوبي المحمول وأدخلت بياناته ولم يستغرق الأمر كثيرا إلا وكنت في صفحته الشخصية أمام صورته مغتصبا ابتسامة ثابتة ويبدو بوضوح شديد أن من يصوره يجبره على فعل هذا.

ضغطت زر مراسلته، وبقيت أحدق في النافذة المفتوحة والفراغ القابع بانتظار كلماتي، أغلقتها وأنا أشعر بالغباء

الشديد، هل مراسلته تعني أنني أتحدث إلى عامل القطار؟

ما هذا الجنون!

ضحكت من نفسي وأنا أحرك رأسي نفيا وداخلي اثنتان تتصارعان، إحداهن تريد أن أراسله و الأخرى تمانع بشدة.

سمعت صوت الراغبة تقول هو لن يجيب، يكفيكِ شرف المحاولة كما قال هو على لسان شخصيته، هو شخص مشهور، في العادة اولئك الناس لا يكترثون كثيرا.

كان هذا كافيا لتقتنع الأخرى فصنعتا هدنة قصيرة، سحبت نفسا طويلا ثم زفرته بانفعال، أمسكت بحاسوبي و بدأت أكتب:

- سيدي الكاتب، أردت اخبارك أنني أحببت روايتك بشدة، وأكثر من أحببت كان شخصية عامل القطار، حتى أنني حلمت بأنني قابلته مثل بطلة القصة بل ودار بيننا حوار

شخصي، لكن ومع الأسف قوطع باستيقاظي المفاجئ، حزنت كثيرا.

ثم ضغطت زر الإرسال.

نهضت من مكاني إلى حيث أضع الرسالة الأخيرة، مررت بسبابتي حول حافة الكتاب الذي احتواها، انتابتني رغبة في البكاء، همست أحدثها: لست مستعدة بعد! لو أخبرتك بالسبب الحقيقي هل سيغير هذا أي شيء؟ ما الفائدة؟ وكيف حالك الآن؟

أخرجني من شرودي أن سمعت صوت تنبيه بوصول رسالة، التفتُّ نحو الشاشة المفتوحة، يا إلهي، لقد وردني رد من الكاتب!

**

اتسعت عيناي دهشة، بهذه السرعة! اقتربت من الجهاز لأقرأ رده والذي كان كالآتي:

- يسعدني كثيرا أنكِ أحببتِ روايتي إلى هذه الدرجة، ويسعدني أكثر تعبيرك عن هذا بمراسلتي، شكرا جزيلا لكِ. *وجه مبتسم*

ازدرت لعابي، كنت مخطئة بتعميمي، لابد أن ذات الصوت العاقل على وشك تدميري الآن لكن فات الأوان، المجنونة حصلت على الدفة وها هي تبحر بردٍ آخر:

- أود مقابلته مجددا، أود لو أتحدث معه أكثر، أهذا ممكن؟

أجاب:

- سيدتي، أعتقد بأنكِ اخطأت المحادثة.

- لا، لم اخطئ عنيت عامل القطار، أريد أن أقابله.

أجاب بثلاثة وجوه تضحك حد البكاء متبوعة ب:

- تقصدين عامل القطار حقا؟... تعلمين أنه خيالي، أليس كذلك؟

- أعلم هذا، أيمكنك تقمص شخصيته لبعض الوقت مثلا؟

- تتحدثين بجدية؟ يا إلهي، هذا جنون... هل أنت أحد اولئك المهاويس غرباء الأطوار الذين يتتبعون الناس ثم يقومون بقتلهم؟ آني ويلكس؟ سمعت عنكم لكن لم أقابل أحدكم من قبل.

شعرت بالحنق الشديد مما قاله، يبدو أحمقا، كتبت:

- بالطبع لست كذلك * ثلاث وجوه غاضبة*، أنا فقط... أرجوك! حاول أن تفهمني، أريد نهاية ما.

لم يصلني رد منه لفترة وبقيت العلامة الخضراء دليل وجوده الافتراضي مضيئة، أبقيت عينيّ على المحادثة وأنا أتوسل، أرجوك لا تتجاهل طلبي، أرجوك أجبني!

رأيت الثلاث نقاط المتجاورات علامة طباعته لرد فتهللت أساريري، وصل ما كتبه أخيرا:

- لنفترض بأني فعلت، ما الداعي لهذا؟ ألا تشعرين بالخوف أو بغرابة أن تشاركي شخص لا تعرفينه أمورا شخصية عنكِ؟

ذهبت لأحضر الرواية، تخطيت عدة صفحات وصولا لغايتي، فكتبت له اقتباسا:

- في محطة الكناري الأصفر قلت: "البوح للغريب مريح للغاية، يجعلك تتحرر، سيأخذ شعوركِ السيء ويرحل و سيظل في مأمنٍ معه"، أليست تلك كلماتك؟

كان مؤشر الكتابة يظهر ويختفي، يذكرني هذا بوضع الانتظار في السيارات الوميض الذي يخفت ويظهر يخفت ويظهر يسبب لي التوتر وبالمثل فعل المؤشر، لكن الانتظار كان أمر أجيده.

جاء رده:

- يبدو أنكِ لم تقرأي فحسب بل حفظتِ التفاصيل أيضا...

تابع الكتابة وأنا بقيت في انتظار ما سيقول.

- اسمعي، أكره اضطراري لقول هذا، فالكاتب لا يبرر شخصياته، ولكن سأعُدك استثناءا، ولتبقِ الأمر سرا يا سيدتي الغريبة، عامل القطار لا يبعد عنكِ كثيرا، لستِ في حاجة لأن أتقمصه فهو بالفعل لديكِ، في البداية عندما كتبته كان رمزية للموت ثم تحول وأنا أكتب ليصبح للقلب، كنت أنوِ أن يجلس في الخلف حتى تأتي محطتها الأخيرة فيمد يده لها قائلا: حان وقت النزول! لكنه فرض ذاته وتلك طبيعة القلب، ثقِ بقلبك وما يخبرك به، القلب يعلم الصواب وإن أنكرنا، وخز الضمير منبعه القلب، إذا كنتِ لا تشعرين براحة فهو يحاول أن يدلك، استمعي.

قرأت كلماته وتسمرت للحظات، وضعت يدي على قلبي وقلت: القلب؟ لكن قلبي ليس بهذه الحكمة وإلا ما كنت فعلت ما فعلته.

لم أتوقف عند تلك النقطة، قمت بكتابة ما حدث، أخبرته أنني لا أمانع أن يستخدم القصة كإلهام لرواية جديدة وفي المقابل يعطيني نصيحة، كنت في حاجة ماسة إلى المساعدة، أشعر بالضياع وبرغبة في التحدث ولا أملك أصدقاء، في أوقات مثل تلك افتقد وجود صديق ناصح بشدة، عندما أرغب في الحديث ولا أتحدث يزداد شعور الكبت في داخلي وعندما كان التزلج متنفسي الذي توقفت عنه، ازداد شعور الكبت في داخلي و ازدادت مؤخرا معه رغبتي في البكاء طوال الوقت، انتهيت من الكتابة وضغطت زر الإرسال، كان قد رحل منذ عشر دقائق، لكني تطلعت بشدة إلى رده.

**

مر النهار بطيئا ولم يصلني منه أي رد، وعندما تفحصت صندوق المحادثة لم يظهر لي أنه قد قرأ الرسالة، شعرت بثقل جاثم على صدري، ربما قرر أن يتجاهلني؟ أو شعر بالملل، ربما كتبت كثيرا فلم يشعر براحة أو ربما شعر أنني أورطه في مشاكلي الشخصية، هل بالغت كثيرا؟

نعم، بالغت، على الأقل حاولت.

تنهدت بعمق، وأخبرت نفسي أنني في حاجة إلى الخروج من المنزل أكثر، أعدت قراءة رسالته الأخيرة، محطة أخيرة؟

لو كان عامل القطاريمثل الموت على الأغلب كان سيرتدي الأسود، سيجلس في مؤخرة العربة دون حديث حتى أنني سأنسى وجوده، سأمر بالكثير من المحطات وأقابل أناسا كثر، حتى بائع الزهور سأعده محطة، ثم

تأتي المحطة الأخيرة ولن أعلم أنها الأخيرة، فقط بهدوء سينهض ويتحرك في خطوات ثابتة نحوي ثم يهمس لي فجأة بأن وقت النزول قد حان...

سأهم بلملمة متعلقاتي وما أحمل من أمتعة، فيشير بيده علامة أن أتوقف، فلا داعي لهذا، سأترك خلفي كل شيء وأرحل.

أرى نفسي أسير خلفه بهدوء لأتوجه نحو باب الخروج، أتوقف للحظة وأنا اسأله، أيمكنني وداع من أحب على الأقل؟ ستترقرق الدمعات من عيني وأنا أتمنى أن يوافق، لكنه لن يوافق، سيقول بصوت بارد بلا أي شعور على وجهه:

- كان لديكِ كل الوقت في حياتك لتفعلي ، أما الآن فلا وقت لذلك.

لهذا كان الرحيل مفاجئ دون استعداد مسبق، لأننا رهن ما نفعله لأن كل شيء مرهون بالوقت.

هل يكون الموت باردا؟ أم أنه احتضان؟

سأذهب معه، سأشعر بيده باردة وأرفع رأسي نحوه فأجده لا ينظر خلفه، أنا أبكي على أمل اللقاء مجددا بكل من أهملت لقائهم في حياتي، للحظة واحدة فقط سأعتذر للجميع، سأخبر زوجي أنني لم أحب أحدا في كل حياتي مثلما أحببته، أنني أردت التمسك به لكن تمسكي به يعني تعاسته فأنا أخاف.

انشغلت بعملي المنزلي المتراكم، أردت صرف ذهني عن كل شيء والعودة إلى الروتين اليومي، مر النهار و أقبل الليل، عدت لأتفحص صندوق رسائلي الافتراضي فلم أجد شيئا، بعد مرور مزيد من الوقت كنت قد فقدت الأمل كليا، اضاءت الدائرة الخضراء قبل منتصف الليل بقليل لتعلن

عن دلوف الكاتب إلى العالم الافتراضي مجددا، تهللت أساريري كأني طفلة أضاعت والدها وها هو ذا قد عاد يبحث عنها ووجدها، لقد رأى الرسالة، لم يكن يتجاهلني كما ظننت، توترت ثانية وأنا اتساءل هل سيجيب؟ هل يقرأ؟ لابد أنه يفكر في حظري ليرتاح ويعود لسلامه الذي كان قبل أن أراسله! نهضت لأذرع الغرفة جيئة وذهابا، تنفسي! قلت، عليّ أن أتنفس، لماذا أعول كثيرا بشأن رده، أخرجت كل احباطي في تلك الرسالة، يكفي هذا، لا يجب أن أطلب أكثر...

جاء صوت تلقي رسالة، فأسرعت نحو الشاشة، كانت رسالة منه، اعتقد أنني شعرت بقفز قلبي من موضعه حتى أن عيناي دمعت من فرط الحماس.

جاء رده:

- أعطِ مشاعركِ لمن يقدرها فأنا مجرد غريب لا يعلم وإن تفهم، الأغرب أن تثقي بهذا الغريب وتشاركيه شعورك ولا تثقي بشريكك الذي قلتِ أنكِ تحبيه كثيرا، أليس كذلك؟ تحدثي إليه لو استطعتِ، الرجل يريد تكوين أسرة معكِ، لا داعي للخوف، الألم يتشكل لا هروب منه هو أحد ابناء الحياة المشاغبين، لو أغلقتي بابا في وجهه سيجد مدخلا آخر، أعني انظري إلى حالكِ، ألستِ تتألمين بالفعل؟ الألم يعلمنا، يغيرنا، نحمله ما بقينا ونرحل، مشكلتكِ ليست الخوف، أنت تتجنبين العيش ككل، تحتاجين طبيب، متأكد بأنه سيساعدك أكثر مني... الحياة لا تخلو من الألم لكن بها ما يستحق أن نحيا لأجله.

صديقك،

عامل القطار. وجه مبتسم وقلب أخضر.

تذكرت ما قاله الكناري مجددا، الأخضر لون العائلة، برد وسلام، العائلة أمر جنوني، وأنا وحيدة! خبأت وجهي بكفيّ وبكيت بحرقة، قلبي يتمزق، الألم الذي ظننت أنني هربت منه كان يتغذى على داخلي، كنت أتجنب العيش، ابتعدت عن كل شيء، أغلقت على نفسي، كلما شعرت بالوحدة لم أجد من أحدثه وتظاهرت بأنني بخير حتى أصبحت بخير، ما الذي تغير؟

نهضت إلى الرسالة التي أبقيتها كما تركها كذكرى أخيرة وقررت: سأفتحها.

بوح وحنين

حبيبتي رغم كل ما يحدث بيننا،

لم أفهم يوما لماذا تغيرتِ كثيرا؟ هل كان خطأ فعلته ولم تستطيعي التغاضي عنه أم أنها تراكمات لم نلحظها فدمرت كل جميل بيننا؟ بدأت أشعر بهذا الإختلاف أول مرة عندما طلبت منكِ إعادة التفكير في مسألة الإنجاب، هل كان هذا السبب؟

هناك أمور لا تعرفيها عني، أمور أخفيتها عنكِ لأن طريقة تفكيرك كانت تقلقني، فكرت بأنني لو حدثتك عن الأمر ستظنين أنني أضغط في طلبي وليس هذا ما أردت.

جئت إلى هذا العالم كطفل وحيد بلا أشقاء ولم يكن لي أصدقاء، عمل أبويّ لأوقات متأخرة، كنت أعود إلى المنزل بعد يوم دراسي طويل لأواجه الوحدة، آكل وحدي، أشاهد التلفاز وحدي، أقوم بكتابة وحل فروضي المدرسية

وحدي فقد كنت طفلا مهذبا أجيد الاعتماد على نفسي دون الحاجة إلى الغير- على قول أمي- لم أملك حق الشكوى لأنني بطبيعتي أتفهم، لكن ظل شعور الوحدة والوحشة ينهش قلبي ولم يتغير، أردت أن أعود إلى المنزل لأجد أمي في انتظاري ثم يأتي أبي و نشاهد بعض المباريات معا أو أناقشه في عدة مواضيع نتبادل فيها وجهات النظر، و لو كان لي شقيق وشقيقة لكانت السعادة لا توصف، تسنى لي الشعور بدفء الأسرة في أيام العطلات فتمنيت لو كانت الأيام كلها عطل، كان هذا سببا أساسيا في قراري أنني عندما أكبر و أُكَون عائلة ستكون عائلة كبيرة، سأحرص على إمضاء الوقت و التواجد حول ابنائي لفترات أطول.

ثم حدث أن ظهرتِ أنتِ في حياتي، كطيف أحمر بين ظلال الوحدة، هكذا شعرت في المرة الأولى التي رأيتك

فيها، تتزلجين وحدك، تقرأين وحدك، تأكلين وحدك، شعرت بالفضول ألا يزعجها الأمر؟ كنتِ سعيدة وجعلني هذا أغبطك بشدة.

أتيتِ وحدثتيني، لم أخفِ حبي لمراقبتك تتزلجين بحُرية وكأن العالم كله باتساعه لكِ وحدك، تعارفنا أكثر، وطلبت الزواج منكِ فوافقتِ وكانت تلك سعادة أخرى، بالرغم من علمي أنكِ لا ترغبين في الأطفال، كان يراودني حلم دائم أحببته، تخيلتك وأنا عائد إلى المنزل بعد يوم عمل مجهد، جالسة بالقرب من نافذة تضيئها الشمس، تغنين لطفلنا الباكي ليهدأ وأنا اراقبكما بامتنان شديد، تتوقفي للحظة وتبتسمي لي قائلة: أتيت! تعال وأحمله عني قليلا، أترك حقيبتي وما أن أحمله على أقرب منضدة أو أريكة وأهدهده فينام! قرأت أن الآباء أفضل في جعل الأطفال يخلدون إلى النوم أسرع!

كانت صدمة بالنسبة إليّ معرفة أنكِ لا ترغبين في أن يكون لديكِ أطفال، تعمدت سؤالك عن السبب عدة مرات، وفي كل مرة سألتكِ أعطيتني سببا مختلفا، فهمت من هذا أنكِ خائفة فحسب، ظننت أن الأمر سيتغير بعد زواجنا كما تغيرت الكثير من الأمور لاحقا، لكن شيئا لم يتغير، وأبقيتِ على كتمانك، أنتِ لا تجيدين الكذب حتى، قلتِ أنكِ تريدين الحفاظ على رشاقتك من أجل التزلج وصدقتك حتى علمت أنكِ توقفتي، فكرت حينها إلى أي مدى قد فشلت في مسعاي لأسرة سعيدة عندما لم أفهمك، وعندما أبقيتي على أسرارك مخبأة دون بوح، أنا أحبكِ على كل حال، أنجبنا أو لم ننجب، خيالي بدونك غير مكتمل.

انظري كيف انتهى بنا الحال؟ تحدثي إلي.

شعرت بانهيار، كنت أبكي بلا توقف، أبكي وحدتي فلا أحد سيربت على كتفي ليخبرني أن الأمور ستكون بخير، و ندمي على قراءة ما جاء في تلك الرسالة متأخرة.

مرعامان على انفصالنا، أرسل تلك الرسالة بعد عدة أشهر من مغادرته، كيف حاله؟ لا أعلم عنه شيئا والأماكن التي يذهب إليها توقفت عن زيارتها، فتحت حاسوبي لأبحث عن اسمه علي أجد ما يخبرني عنه أي شيء، كنت قد وعدت نفسي ألا أضعف وبالكاد توقفت بعد أشهر من مراقبته لم يشارك فيها أي تحديث عن حياته...

وصلت، كانت صورته أمامي، يحتضن كلبا راعيا ألمانيا ويضحك، كان الحيوان فاغرا فاه باتساع وكأنه يشاركه الضحك.

أخفى حالته الإجتماعية فوقعت في حيرة جديدة، ماذا أفعل؟ هذا جنون... ما الذي أفعله الآن؟ هل طلبت منه أن

ننفصل لأعود و أطالبه بماذا؟ هل تغير شيء؟ لا، ما زلت لا أرغب في أن أصبح أم، إذن لماذا؟

أغلقت الحاسوب وذهبت إلى فراشي أحتضنت وسادتي أحدثها وأؤكد لنفسي: لقد انتهى كل شيء!

كل ما أريده الآن هو أن أراه فحسب! أهذا كثير؟ ليس عليه أن يراني حتى...

**

رأيت ظلا لرجل، تهللت أساريري عندما تعرفت من يكون، لقد عاد عامل القطار! كان يراقبني بصمت محتفظا بتعابيره الثابتة، أشار نحو نافذة القطار الواسعة، فالتفتُ حيث يشير لأجدها مغلقة ومع هذا شعرت بالبرد فجأة،

همس قائلا وهو يحدق في الخارج:

- الثلج... لقد توقف عن التساقط، اقترب مني ومد يده

نحوي بحذاء أزرق جميل ذو زلاجات فضية لامعة بدى جديدا لم يستعمله أحد من قبل، سألني:

- ألا تريدين التزلج؟

حدقت في الحذاء ثم رفعت عيني نحوه مجددا وأنا ابتسم بسعادة، قمت بلف ذراعي حول نفسي، أغمضت عينيّ وتخيلتني أسبح في ذاك الفراغ الأبيض الرحب بلا توقف كما اعتدت سابقا، احتلني شعور بارد بالخوف فجأة، يحاول طرد الشعور الآمن بالتحليق، قلت بنبرة لا تخلو من القلق:

- كل هذا الثلج هناك... ماذا لو سقطت!

أجابني:

- إذن، سيكون عليكِ النهوض مجددا.

سألته:

- هل ستأتي معي؟

اومأ برأسه ايجابا فتهللت أساريري.

تابعت اسأل: ستتشجعني؟

كور قبضته ثم رفعها نحو الأعلى وصاح: ذيل الطاووس هي الأفضل!

ضحكت بشدة بينما امتلأت عيناي بالدموع، فكرت في الكلمات:

"كطيف أحمر بين ظلال"، تذكرت الكناري وما قاله عن اللون الأحمر: الأحمر لون الحياة النابض!

قلت وفي حلقي غصة ثقيلة وقلبي شجون وحنين: أنا ايضا أكره اللون الأحمر، لا عجب في ذلك، فلا شيء يخيفني مثل الحياة ذاتها.

تنهدت ونظرت إلى عامل القطار الذي بقي متمسكا بحذاء التزلج، سألته: أيمكنك أن تحضر لي ثوب أحمر؟!

- لو فعلت، هل سنذهب؟

أومأت برأسي إيجابا وقد تسلل الحماس إلى داخلي فجأة.

لم تمض دقائق إلا وكنت متألقة بثوب أحمر جعل عامل القطار يضحك قائلا:

- اقترح أن نبدل إسمك من ذيل الطاووس إلى كسارة البندق ذي التنورة.

ضحكت وأنا أتحقق من ثوبي وأدور حول نفسي بسعادة نظرت إليه وقلت بحماس: حان الوقت لقتل ملك الفئران!

مد يده نحوي فاتحا كفه لأمسكها وقال: لنذهب؟

كررت بعد أن سحبت نفسا عميقا واومأت برأسي موافقة: لنذهب.

أمسكت بيده فلاحظت اختفاء عربة القطار، كما لو أننا انتقلنا بطريقة ما إلى حكاية جديدة، بدلا من القطار كنا في أحد تلك الكرات الزجاجية التي يهبط الثلج فيها كلما حركتها، حلبة واسعة بيضاء و أنا ذات الرداء الأحمر ، تقدمت إلى الأمام ببطء وبخطوات غير واثقة، شجعني عامل القطار صائحا: انطلقي!

سألته:

- هل سنكون بخير بعيدا عن القطار؟

قال:

- منذ مدة ونحن خارجه بالفعل، سيكون علينا اللحاق به لكن ليس الآن المهم أن تحركي، هيا تقدمي!

أغمضت عينيّ التمس القوة ومشيت بحذر نحو الحلبة و... بدأت بالتزلج، درت في الحلبة ولم أسقط، التفت نحو

العامل فوجدته يلوح لي، لوحت له بسعادة و تحركت بوتيرة أسرع، كنت أعبر خلال الهواء البارد مثل شبح يمرح بين جدران الحزن، أسحب شهيقا و أزفره، أدور حول الحلبة تارة وحول نفسي تارة أخرى، أقفز وأصيح، وكأنني قد عدت طفلة من جديد، تدغدغ فراشات السعادة معدتي فأضحك بحماس، أما عامل القطار فقد عقد ذراعيه أمام صدره و كان يراقبني ويبتسم.

عامل القطار

كانت تدور في الحلبة أخيرا، عادت للتزلج وتركت الخوف في العربة المتوقفة قبل أن نتركها، مشكلتها الدائمة هي العيش خلف قضبان الخوف، وهو أمر غير محمود.

أعرف عنها كل شيء، ولا أحد يعرفها مثلي، في اليوم الذي راقبَت فيه رحيله وهو يأمل أن يعود ويستمع إلى موافقتها أو على الأقل تخبره بأنها ستعيد التفكير، كانت هي تفكر في أسبابها التي لن يفهمها، كانت "خائفة" لأنه سيظن أنها أسباب هينة وهي على قلبها عظيمة، سيطمئنها وسيبدأ بإيجاد الحلول كعادته.

لم تخبره أبدا، وما الفائدة من إخباره، هل سيغير هذا قراره؟ لما لا يغيره أي سبب آخر إذن؟ كانت تعلم أنه لن

يتركها، فتركته هي و تطلب الأمر شجاعة كبيرة منها، وتهور فأنا ابدا لم أوافقها.

أما عن أسبابها فدعوني أقص عليكم ما تشعر به:

عندما نكبر يبقى الصغير فينا قابعا بالداخل محتضنا ذاكرته في حالة انتظار لما يحفزها، الجرح داخلها إن لم يُعالج يصبح مشكلة وهو في انتظار نسخته البالغة لكي تحلها، حتى عندما نظن بأننا نسينا يبقى هو ويتذكر، فالقلب أبدا لا ينسى.

كانت تذرع غرفتها جيئة وذهابا، تتطلع إلى النافذة وتراقب عودته بقلق، ماذا ستفعل؟ تخبره، سيتابع الحياة معها بدافع الشفقة!

هو يريد أن يصبح أبا وهي لا تريد ولا داعي لاسباب، ما المشكلة في قول هذا فحسب؟ لا أريد!

كيف تخبره عن شعورها حينما ذاقت من مرارة كأس الفقد مرة، بذرة وضعت في مكان ما من قلبها لم تنتبه عليها، راقبت رحيل وابتعاد، عيناها مثبتتان على جسد تخاف لو رمشت أن يختفي للأبد وعقلها غير مصدق، يرفض ما يحدث يظن أنها مسألة وقت وسيعود كل شيء كما كان، لكنه لم يعد، صراخ، تراب ينهال، يطمس كل شيء تحته، إعلان للاعودة، لفصل انتهى ورحلت شحصياته فأحدث بترا في الحكاية وهي وحدها، كالعادة، واقفة لا تعلم كيف تتخلص من هذا الشعور المضني بالألم الجاثم فوق صدرها؟ هو لن يذهب وحده وهي تعلمت أن تخشاه، فخلدت شعور الألم في ذاكرتها وبقي مقترن بالخوف، كل شخص يدلف إلى حياتها لا تراه إلا احتمال لفقد، ويزداد خوفها كلما زاد تعلقها بهذا الشخص.

زادت المشكلة بتجربة أخرى كانت كناقوس خطر يدق بشدة، صديقة لها كانت أم ثكلى تنعي فقدان طفلها، احتضنتها، حاولت أن تهدئها، همست لها بكل شيء حفظته عن ظهر قلب كانت قد أخبرت به نفسها يوما، قالت تشاركها الشعور أنا أيضا فقدت عزيزا و...

لم تكد تكمل عبارتها لتصيح الأخرى بها:

- هذا الفقد ليس كأي فقد، لا أتمناه لكِ ابدا! أنا أموت وحتى راحة الموت لا أحصل عليها، هذا الألم لن يزول!

في هذا اليوم بالذات نبتت في قلبها نبتة الخوف، روتها بذكريات الألم، اتخذت على إثرها قرارا أنها لن تنجب أطفالا، لن تسمح لهذا الفقد بأن يحدث لها، قلبها لن يحتمله بالتأكيد.

عندما نركز على جرح تجاربنا السابقة ولا نتعلم، نجدنا في قلق دائم استعدادا لصلاة الخوف، فيها نفكر ونفكر

ونجثو على ركبتينا، نبكي ونتضرع للألم ألا يتكرر ثانية، لا نعلم أن هذا يجعلنا أكثر تمسكا به، نعم، يسكننا الخوف من حدوث شيء ما بشدة فنتوقعه، نكون في انتظار حدوثه حتى لو لم يأتي، نعكر صفو حاضرنا بالعيش في وهم ماضينا الذي رحل و خيالات لمستقبل لا نملكه.

لا بأس ببعض الألم، ستتجاوزه يوما، البأس كل البأس في السقوط في فخ الخوف دون حراك، أصرخ، أطلب المساعدة وستأتي إليك، تسلح باليقين، فالشمس تسطع بعد غياب هو الليل، واصبر على مُر الألم ودع الوقت يمر، كن أكثر قوة في مواجهة الحياة، أكثر إيمانا بنفسك وصلِ لرب الألم لا الألم نفسه.

راقبتها تتهادى كنقطة حمراء فوق صفحة بيضاء، تضحك فيتردد صدى ضحكاتها في المكان، تبتعد و تقترب، تتوقف لتراقب الأشجار وكأن أحدهم أطلق سراحها بعد

سجن دام لسنوات، كنت فخورا بها، أردت أن تنزع الألم من ذاكرتها وتحتفظ بالشجاعة لتستدعيها كلما دعت الضرورة، لم يتبقى إلا أمر واحد أخير اؤمن بأنها ستفعله... وهو أنها ستختار أن تعيش.

توجهت نحوها متزلجا فاندهشت لرؤيتي أفعل هذا بثبات دون أن يختل توازني، سألت:

- لم أعلم أنه يمكنكَ التزلج!

مددت كلا كفي نحوها لتمسك بهما، حدقت فيهما ثم ضحكت وقالت:

- ما هذا؟ هل أنا طفلة تتعلم السير أم ماذا؟

تبسمت لقولها موافقا:

- عُديها كما تشائي، هيا أمسكي بيدي ولنعد إلى محطتك القادمة

محطة جديدة..رحلة غير متوقعة!

وميض أحمر يشير إلى رسالة جديدة:

- لو كنتُ محطة في حياتك فدعيني أحسن العبور، يبدو هذا جنونا أعلم ولكن ما الحياة بلا جنون؟ رتابة، لو أردتِ مساعدتي في أي شيء سآتي إليكِ، لا تترددي في طلبها.

حدقت في الرسالة التي وصلتني من الكاتب، ابتسمت بشدة فهو الآن وشخصيته بالأمس في حُلم آخر، تنهدت و طبعت الرد.

- أعلم أن هذا كثير لكن... هل، أعني... أريد أن أراه فحسب، لن أقابله، أيمكنك أن تأتي معي، أخاف أن أفسد الأمر وحدي، لا أعلم إذا كان قد تزوج مجددا أو لا... فقط لا أريد إفساد الأمر، هل تفهمني؟ لا أعلم.

ضغطت زر الإرسال ثم أعدت قراءة ما كتبته، ما هذا! يالها من رسالة مرتبكة سخيفة، سأمسحها و أكتب غيرها، ستكون أكثر قوة وثقة! أخذت أفكر فيما سأكتبه لأبدو أكثر ثقة

سخرت من نفسي التي حدقت في قولي هذا بذهول زجرتها قائلة: حتى لو كان تظاهرا!

أخذت أفكر في صيغة جديدة للرسالة لكن الأوان قد فات، رأى الرسالة بالفعل، تنفست عميقا فأنا أنسى فعل هذا أحيانا وانتظرت رده، كتب:

- أرسلي لي عنوان المكان الذي تودين أن نلتقي به، مؤكد ليس منزلك فمن يدري ربما أكون سفاح آتٍ لقتلك! *ثلاث وجوه تضحك حد البكاء* ثم تابع ليكن مكانا عاما بالقرب من موقع بيته أو عمله؟

هل يظن بأني بلهاء إلى هذا الحد؟ ما حكايته و القتل؟ خياله واسع، بالطبع يا حمقاء فهو كاتب.

انزعجت لكن قررت التغافل وتابعت طباعة الرد:

- يقطن في مدينة تبعد عن مدينتي حوالي الساعتين، ما رأيك أن أذهب إلى هناك أولا وسأكون في انتظارك، سأرسل لك الموقع تحديدا عندما أصل... آسفة على المبالغة في الطلب فأنا أعلم أن هذا كثير.

بعد ذلك أرسلت عنوان الشركة التي يعمل بها وانتظرت رده الذي كان:

- لا داعي للاعتذار فأنا من عرض المساعدة، أنتِ لم تطلبيها، سأوافيكِ هناك ليكن اللقاء في نهاية الإسبوع، هل يناسبكِ؟

تهللت أساريري و راسلته: اتفقنا و، شكرا جزيلا.

أغلقت شاشة حاسوبي، كنت غاية في التوتر، لو أنني توقفت للحظة للتفكير فيما كنت على وشك فعله لم أكن سأفعله أبدا، لكن تلك فرصتي و لن أضيعها.

**

مر اليومان المتبقيان قبل نهاية الاسبوع على ظهر سلحفاة، كنت أتطلع إلى الذهاب بحماس شديد، أرسل الكاتب رقم هاتفه حال طرأ أي جديد، انتهيت من تحضير حقيبة ظهر خفيفة لأخذ اللازم، رحلة قصيرة لا تتطلب كثير، ارتديت قبعة و نظارات شمسية لأخفي هويتي وكان التنكر ناجحا، انطلقت إلى المحطة لأخذ القطار، كان شعوري مختلف نحوه هذه المرة، في العادة لم أكن أهتم كثيرا أما الآن فرغبت في أخذ مقعدي بجوار النافذة، وأن أبقي عيني على الطريق وأستمتع بالرحلة أكثر مما مضى، كنت مسرورة أنتظر كل من يدلف إلى العربة

وأتخيل قصة كل واحد منه وأصرخ في داخلي أن هذا خرق للقانون، شخص واحد فقط لكل محطة! لم أكن أتخيل هذا التأثير الجنوني لتلك الرواية.

أصبحت أقرب لوجهتي، اجتمعت غيوم القلق في داخلي منذرة بعاصفة من التوتر الشديد مصحوبا بالخوف كالعادة، بردت أطرافي وشعرت ببعض الألم في معدتي، هدأت نفسي بأن أتنفس، من الجيد أن السيد كاتب قد أتى معي، سأظل ممتنة له ما حييت.

حسنا، كل ما سنفعله هو إلقاء نظرة صغيرة ثم الذهاب فورا! أريد أن أتأكد أنه بخير فقط، أن أراه يتحرك ليس مجرد صورة قد تصدُق وقد تكذب... وأكذب لو أنكرت فضولي بشأن حالته الاجتماعية.

رن هاتفي، الرقم الظاهر على الشاشة كان رقم الكاتب، فكرت بقلق:

أهناك جديد؟ أتمنى ألا يخبرني أنه قرر تغيير الخطة فجأة!

أجبته فقال:

- يبدو أنني كنت متحمسا للغاية، أين أنتِ؟ وصلت إلى وجهتنا مبكرا قبل الموعد ووجدت مقها صغيرا بالقرب من مكان عمله، سأرسل لك الموقع تحققي منه، في انتظارك.

أغلق الخط ثم أرسل موقعه.

يبدو أنه أكثر حماسة مني، حديثه مقتضب ويناسبني هذا كثيرا، لم يبق كثير على وصولي، هل أنا مستعدة؟ سحبت نفسا ثم زفرته وكررت فعلي عدة مرات ثم تابعت النظر خارج النافذة.

**

ضحك عندما رآني، تعرفت عليه فورا أما هو فلم يتعرف عليّ، ذهبت للوقوف أمامه كان يرتشف بعض القهوة عندما حدق بي للحظات مستغربا، رفعت هاتفي وقلت: لقد وصلت!

نهض مُرحبا، بدى أطول مما ظننته، كان طبيعيا لا يتصرف بغرابة بالرغم أن فكرتي عن الكُتاب أنهم غريبو الأطوار بشكل يتضح للرائي، أنه يمكنك أن ترصدهم أينما حَلو، لا أعرف بماذا يفترض أن ابدأ حديثي، فقط اكتفيت بالسؤال:

- ما الذي يضحكك؟

أجاب:

- أنتِ! تبدين مثيرة للريبة، اؤكد لكِ أنه لن يتعرف عليكِ لكنك ستثيرين ريبته، ربما يظنك لصة أو متسللة وينتهي بك الحال مطرودة بفعل أمن الشركة.

حدقت به بثبات ريثما ينهي جولة ضحكه، قلت:

- أهكذا تعامل الغرباء في العادة؟ أنت مزعج.

- نزقة!

توجهت للكرسي الفارغ أمامه وجلست ففعل بالمثل، شربت بعض الماء ثم شعرت بعدم ارتياح، لم أعلم ماذا يفترض أن أقول، هذا شعور مرهق لا أحبه، سأل هو:

- حسنا، ما الذي تنوين فعله الآن؟

أجبت:

- لا شيء، أريد رؤيته ولا أريده أن يراني...

حدق بي عاقدا ما بين حاجبيه ثم قال:

- قطعتِ كل تلك المسافة لتلقي نظرة و تذهبي؟ هيا كوني أكثر شجاعة.

- لا أستطيع، لا أعلم إذا كان قد تزوج أم لا ربما يكون مرتبطا حتى، لا أريد أن أتسبب في مشكلات.

استند بذراعه رافعا كلا حاجبيه باندهاش ثم رفع شفتيه نحو الأعلى مقوسا فمه للحظات و قال:

- إذن أتيت من بعيد فقط لتتأكدي إن كان قد تجاوزكِ أم لا ثم ترحلين كجبانة!

انتفضت واقفة ثم ضربت الطاولة بكلا كفي الأمر الذي تسبب في جذب كثير من الأعين نحونا، اعترضت:

- هذا ليس صحيحا، أردت فقط أن أراه... اشتقت لرؤيته وليس للتحديق في مجرد صورة ثابتة.

اجلسي، أنت تلفتين النظر بفعلك!

- ألستِ خائفة من ايجاد أخرى فعلا في الصورة؟

توجهت بنظري نحو الأسفل، هو على حق، عدت للجلوس مجددا ولم أجيبه فتابع هو:

- ماذا لو لم تكن هناك أخرى، هل تعودين؟

حركت رأسي رافضة، قلت:

- أرغب في هذا لكن إن فعلت ألن تكون تلك أنانية مني؟ أعني طلبت منه الانفصال هل اجرؤ على طلب العودة؟ توقفت عن الحديث، ما فائدة ما أفعله هنا؟ لماذا أتيت؟ ما هذ الجنون، استيقظ العقل لينقذ الموقف.

وقفت قائلة:

- أنت على حق، ما كان يجب قطع كل تلك المسافة إلى هنا دون داعٍ، تلك حماقة مني.

قال:

- لنذهب و نراه، وليكن هذا وداعك اللائق؟

رفعت رأسي وحدقت به كان يبتسم منتظرا جوابي، ترددت قليلا، فكرت فيما قال ثم قلت:

- ذكرتني بعامل القطار، أتعلم... لقد حلمت به مجددا ليلة أمس، أعطاني أحذية تزلج، كانت جميلة.

حدق بي للحظات، لم استطع قراءة تعابيره، تهللت أساريره ثم تحدث:

- هناك جزء من الكاتب في كل شخصية يكتبها، لست بحكمة عامل القطار وإن كنت أتمناها... تعلمين، أظن أنه لا يرغب في الإنجاب أيضا، يمكنني أن ادبر لكِ موعدا معه.

ضحكت من قوله، وجعلني الضحك أقل توترا.

تابع وهو يشير لطلب حضور النادل:

- ماذا تشربين؟

قلت:

- لا شيء، دعنا نذهب؟

- لا بأس، دفع حسابه ثم انطلقنا، استغرق الوصول لوجهتنا سير مدة عشر دقائق، كل خطوة كنت أخطوها نحو الأمام يرتد وقعها في قلبي و يترجمه عقلي: تراجعي فقط تراجعي.

وقفت فجأة ولم يقف هو، حثني على متابعة السير قائلا:

- هيا، لا تستسلمي لألاعيب عقلك، ستكونين بخير.

ستكونين بخير! أكثر كلمة تمنيت سماعها يوما ولم أسمعها، سألته:

- هل ما نفعله صواب؟

- من يهتم بصواب أو خطأ؟ سنعرف عندما نصل، أنتِ على وشك خوض تجربة ما، إما تتحررين من آمال زائفة

أو تصنعين قرارا جديدا ولنتمنى سويا أن يكون قرار حكيم.

تنهدت، كنت متوترة وخائفة، وصلنا إلى وجهتنا المطلوبة، طلب مني أن انتظر في الخارج ريثما يتوجه إلى الاستقبال ويسأل عن... كدت أقول زوجي!

الرجل الذي كان يوما زوجي، الرجل الذي أحبه؟ نعم تلك الأخيرة أفضل، تطلعت إلى الباب عندما أتى صوت من خلفي:

- أنتِ! لا أصدقكِ... ماذا تفعلين هنا؟!

التفت نحو صاحب الصوت الذي أعرفه جيدا، التنكر غير مفيد فإذا عرفني صديق زوجي السابق فالبديهي أنه أيضا سيكشف هويتي بسهولة، اقترب مني حتى وقف مقابلا لي، حدثني مزمجرا من بين أسنانه بنبرة آمرة:

- اذهبي من هنا حالا!

كدت أجيبه عندما جاء صوت الكاتب من خلفي:

- من أنت؟

همست له:

- هذا صديقه المقرب.

بدل نظره اتهام صريحة بيني و بينه، كان مرتابا بنا وكما توقعت قرر مسبقا في عقله الأحمق قائلا:

- هل جئتِ للتباهي بشريكك الجديد أمامه؟ أي نوع من الوقاحة تملكين؟

ربت الكاتب على كتفه ثم قال:

- لا شأن لك بما نفعله، لماذا تتدخل أصلا، هل أنت والده؟

أسرعت أنفي اتهامه:

- لسنا شريكين هو...

دفع يده بعيدا بعنف ثم قاطعني متجاهلا حديثي و قال:

- لا يهمني إن كنتما شريكين أم لم تكونا، المهم أن ترحلي حالا، ثم تابع حديثه بصراخ يحاول التحكم بعلوه كي لا يلفت الأنظار نحونا، حديث وجهه إلى الكاتب:

- لا أريد أن يراها صديقي لا الآن ولا أبدا!

انهى عبارته وتحرك نحوي، جذب رسغي ساحبا إياي بعيدا عن موقع الشركة، تدخل الكاتب ليمنعه فدفعه بعيدا وتابع سحبي مثل طفلة تمتنع عن السير، حصل على لكمة في فكه من الكاتب، لكمه متعللا بأنه قد طفح كيله، أبعده عني ثم أشار عليه ألا يتدخل.

تحرك تجاهي وأخبرني أن هدفي بالداخل وأعطاني رقم مكتبه مطالبا أن أذهب إلى الداخل سريعا وسيبقى هو

ويتعامل مع الصديق الثائر، شكرته وتحركت عدة خطوات نحو الأمام، بالكاد فعلت عندما استوقفتني كلمات صاح بها صديقه:

- لا تكوني أنانية، لقد وجد امرأة أخرى!!

نهض يكررها مجددا فقلت له بصدمة:

سمعتك، لا داعي لأن تكررها...

تابع ذبحه ببطء مستخدما سكين الحديث الثلم ليمزقني إربا:

- عانى كثيرا بسببك، امتنع عن الطعام بل وعن البشر جميعا، لوقت طويل حاولت سحبه من دوامة اكتئابه الشديد ولم أنجح إلا مؤخرا، أنت لم تهديه سوى الوحدة، الوحدة التي ظل يعانيها طوال حياته، عندما بدأت حياته بالعودة بطيئا تظهرين أنتِ لإفساد كل شيء؟ ماذا تريدين؟

تستمتعين بتدميره؟ تظنين أنكِ امتلكته، بأنه ممنوح لكِ وقتما تشائين؟

لديه امرأة تقدره الآن، امرأة تحبه وتهتم بشأنه، لا تفسدي الأمر بينهما، تعلمين أن هذا سيحدث... أرجوكِ اذهبي، حاله أفضل بدونك، أنا لن أسمح لكِ بهذا، حتى لو أحضرت هذا المأجور اللعين لضربي، سأمنعكِ.

اندفع الكاتب نحوه مجددا فطلبت منه أن يتوقف،همست بانكسار حزين، أحاول أن ابتلع ما قاله فلا يبتلع:

- لا داعي لكل هذا، سأذهب، أريد فقط أن أراه من بعيد، وأعدك بأنه لن يراني.

استغرق الأمر ساعة، كانت وقت الغداء واستراحة، رأيته عندما كان خارجا من الباب مع صديقه الذي حدق بي مباشرة لثانية قبل أن يبتعدا سويا، فقد بعضا من وزنه، لكنه يبتسم...

التمعت عيناي بالدموع، لم أرفع عينيّ عنه حتى اختفى، سرت عكس وجهتي، عرفت الآن ما رغبت في معرفته بشدة، وعوقبت بألا اعتذر منه بضياع فرصتي في التحدث إليه، لقد تأخرت كثيرا، علقت في الزمن لوقت طويل وبينما لم أتغير أنا، تغير كل شيء حولي.

عكس... الاتجاه الصحيح

أصبت بنوبات شرود في طريق عودتي، مررت بكل مكان كان فيه ذكرى لنا يوما، هنا وقف يشجعني وكان جمهوري الوحيد، هنا التقطنا صورة لنا سويا نضحك، هنا تشاجرنا للمرة الأولى وهنا تصالحنا، ومكان آخر فيه ضحكنا وبكينا، سيل عارم من الذكريات ضربني فمشيت مع تياره.

كنت أرانا كشبحين، يفعلان شيئا، يدوران من حولي أطاردهما فيتبخران في الهواء.

جزء صغير مني كان لديه الغرور الكافي ليصيح في داخلي بحنق شديد:

- كيف؟ كيف استطاع فعل هذا ولم استطع أنا؟ لماذا أراد عائلة كبيرة وتزوج بي؟ لماذا أشعر أنا بالذنب على ما حدث له وبسببه كان قرار الانفصال؟ أخذته نيابة عنه؟ نعم فعلت، عفوا آسفة لكن لو لم آخذه لظل تعيسا، ألم يرده هو بسؤاله المتكرر أن أعيد التفكير؟ لماذا لدي رغبة في الصراخ ولا أصرخ... أنا غاضبة، أنا حزينة، أنا وحيدة! أريد أن أحطم و أحطم وأحطم، لكن أيكفي هذا؟ لا.

ظلت كلمات صديقه تدور في رأسي بلا توقف، صاح به الكاتب ألا يتدخل، لكن لم أهتم، فقط تابعت السير عكس الاتجاه الصحيح، بعيدا عنه، تمنيت بشدة أن تتمشى عقارب الساعة معي، لكن هذا لن يحدث.

- تعرفين؟ الخوف امتحان... نُمتحن بالخوف لنكتشف ما الذي يمكننا فعله، هل نترك الفرص تضيع أم نمضي

ملهمون

بالخوف فينا؟ كلما امتحنك الخوف أفشلي مخططاته، احمليه وأمشي حيث لا يريدك أن تذهبي.

كانت تلك آخر كلمات عامل القطار إلى الفتاة، أكان هذا ما يؤمن به الكاتب حقا؟

بعد هذا المشهد ظل صامتا لم يقل كثيرا، شعرت بالأسف الشديد تجاهه فما كان عليه أن يتورط في هرائاتي، تابع السير إلى جواري قبل أن أودعه عند المحطة ونفترق.

بعدها بيومين تلقيت منه رسالة يسألني:

- هل أنتِ بخير؟

لم أجيبه.

أرسل رسالة أخرى أظهر فيها قلقه أكثر:

- أين أنتِ؟ هل آتِ إليكِ؟ إن لم تردي سآتي، أعرف في أي مدينة تقطنين وسآت لقتلك إن لم تردي.

راسلته في نهاية اليوم الثالث:

- أنا بخير، لا داعي للقلق... الحياة لا تدين لي بشيء أنا من أضاعه، شيء على الأرجح لم يكن لي، عاملته كما لو كان ممنوحا يخصني وحدي، أقربه وأبعده كما يحلو لي فخسرته، أرجوك، لا تعاملني كما لو كنت مثيرة للشفقة، هذا يزعجني.

أجاب:

- يسمى هذا قلق صديق، ستعتادينه، لا أجدكِ مثيرة للشفقة.

حدقت في رسالته الأخيرة التي جاءت سريعا لثانيتين ثم ابتسمت و أرسلت ردي:

- تصبح على خير.

ثم أغلقت الحاسوب دون أن أنتظر رده، أنا بخير، ليس لدي الرغبة في فعل شيء حاليا، لكن سأكون بخير، تلقيت رسالة منه مجددا قال فيها:

- قالت لي احداهن يوما، أنت تضيع وقتك بما لا يفيد، ما فائدة ما تفعله؟ يقرأ الناس ما تكتبه، حتى لو أعجبهم مصيره نسيان، جِد عملا مفيدا وكُفَ عن تلفيق الأكاذيب! هكذا رأت ما أكتبه، كذب! لم تفهم

أنا أكتب ليتحرر الناس من مخاوفهم، ليتعرفون إلى أنفسهم أكثر، ليتابعون العيش ولا يتوقفون على الهامش، لا أحد يقرأ الهوامش وإن قرأوها لا يهتمون، أهذا كذب؟ كدت أصدق ما قالته وتساءلت ما الفائدة لو هكذا يفكر الناس؟ راسلتني أنتِ بانطباعك عن روايتي، حدثتيني عن حلم ثم آخر و تأثرك الشديد بشخصية عامل القطار فغبطه لا أنكر، شعرت أن ما أكتبه ذا فائدة وقيمة وأن تلك السيدة

على خطأ، أردت أن أخبركِ بهذا مثلما قررتي أن تخبريني برأيك عله يعني لكِ أي شيء...

ما حدث معكِ ليس النهاية، ابحثي عن بدايتكِ الجديدة، كوني أكثر قوة، ولكِ مطلق الحرية في مراسلتي متى أردتِ. *وجه يبتسم بلطف*.

لو أخبرني أحد بأن الأحداث الأخيرة من حياتي كانت بسبب كتاب ما كنت لأصدقه، لكننا أبدا لا نعلم أين يكمن السحر.

كنت ممتنة لما كتبه لي، لم أجد ردا مناسبا يعبر عن شعوري لكني من أعماق قلبي شكرته بصدق تام.

انتهيت من كتابة ردي وأغلقت الحاسوب فورا، توجهت نحو باب المنزل، وقفت أتفحص زواياه لدقيقة، هذا المكان يشبهني كثيرا، شاركني كثير من اللحظات السيئة، رأى انكساري وحزني، خوفي الذي لا يتراجع عن ايجادي كلما

هربت منه، وحدتي، اشتياقي، شجوني وجنوني، صمت الجدران حفظ للأسرار ومراقبتها لنا بوحنا الصامت، ابتسمت وأغلقت الباب ثم ابتعدت.

تنزهت بسعادة، لم أفعل هذا منذ وقت طويل، الشمس تحتضنني بدفئها، الهواء عليل، كنت أحدق في الناس من حولي كما لو كنت أراهم للمرة الأولى، لو كان الكناري هنا لأخبرته عن مزيد من الأشياء ليضيفها إلى خيالاته، كنا سنتبادل الحديث وقبل أن نفترق كنت سأخبره: شكرا لجعلي أرى.

عندما عدت من رحلتي قبل أسبوع مضى، بكيت، أطلقت العنان لدموعي الغزيرة على وعد ألا أبكي ثانية بعد ذلك على هذا الأمر، استمر هطول المطر لعدة أيام قبل أن يهدأ الطقس في قلبي و تتلاشى الغيوم ببطء...

من كل قلبي يا من تسكن قلبي... أتمنى لك السعادة، ومثلما حزنت الفتاة في محطتها الأولى على خذلانها للفتى الصغير حزنت أنا، فقد أصبتك بالوحدة ولم أشعر، أرجو أن تجد السلام أخيرا مع امرأة تستحقك وأن أجده أنا.

وضعت مواقفنا، ذكرياتنا، كلماته و الصور، رسالته الأخيرة لي لتذكرني بالفرصة التي أضعتها بحماقتي، مع كل أحلامنا التي خططناها معا في صندوق أقفلته وتركته لينام على رف قديم و إمضاء: ذكرى فتاة خذلت نفسها.

حدثني عامل القطار متسائلا:

- لماذا تبكين الآن مجددا؟

أجبت بصدق فلا كذب على عامل القطار:

- لأنني أحبه.

- الحب وحده لا يكفي في حالتك، هل كنتِ لتقدمي تنازلا للبقاء معه؟

- لا

أبقى على صمته، انتظر أن أتابع حديثي وفعلت:

- لم يكن تنازلا بسيطا، للأسف، لم أستطع.

- إذن تحبين نفسك أكثر...

- أو أخاف كثيرا ولا أريد أن أخاطر.

- الجبناء لا يستحقون الحب.

- جميعنا نستحق الحب، الجبناء لا يجيدون التعامل معه فحسب أكثر من إجادتهم الخوف والهروب.

- لا أحد يحصل على كل شيء، في الصورة هناك دائما شيء ناقص لا يكتمل، نكمله نحن بقبول نقصانه...

- صحيح، هل تظن أنني خسرت؟

- لا خسارة بلا مكسب، أظن أنكِ تعلمتِ وهذا ما يهم.

ابتسمت من جوابه الأخير، سحبت نفسا عميقا وزفرته ثم تمتمت:

- دائما لديك إجابة.

تابعت سيري العشوائي، توقفت أمام نافذة عرض فقد جذبني غرض ما، دلفت إلى الداخل لأشتريه، رفعت كتفي لتصطدم عيناي بانعكاسي على الزجاج، أومأت برأسي له بتفهم وسعادة منتصر عاد ليبصر النور بعد السير طويلا في ظلام دامس لنفق أغلقته على نفسي، خرجت وتابعت السير.

كنت أتبختر بل كنت أطير شعرت بأنني خفيفة، أدور حول أعمدة الإنارة، أشم زهرة لدى بائع على ناصية الطريق، أركض في الأرجاء، خطوة تتبعها خطوة حتى الوصول أخيرا إلى وجهتي ملاذي الضائع، المكان الذي

أهملته منذ مدة، المكان الوحيد الذي احتاجه الآن، عقصت خصلاتي نحو الخلف، وتركت معطفي والحقيبة على الأرض، تقدمت بثبات، أخرجت زلاجاتي الزرقاء ذات ندف الثلج الفضية وارتديتها

كان عامل القطار واقفا إلى جواري، مد يده نحوي وقال:

- يبدو أننا لحقنا القطار أخيرا!

- كدنا نفوته!

حدقت في الفراغ الأبيض، لا شيء يضاهي الإبحار في مساحة واسعة ، هذا الشعور الرائع بالهواء من حولك، يدلف إلى رئتيك، ويتحرر منهما يلامس وجهك و يحرك خصلات شعرك، تزلج نحو الخلف، دوران وقفز، وبالطبع سقوط، مد عامل القطار يده ليساعدني على الوقوف مجددا كما وعد، ضحك وقال...

- تعاقبك الحلبة على الهجران الطويل.

قلت أحدثها:

- كنت حزينة، يمكنكِ أن تعاتبيني، لكن لا تلوميني فبعض جراحي لم تتوقف عن النزيف بعد.

أحب عتاب المحبين، استقبلت قدماي الأرض مجددا في عناق أصدقاء لم يروا بعضهم منذ مدة طويلة، عناق اشتياق و رحيل كنت أنا سببه، أصبحت أكثر اصرارا على عدم الوقوع، فتحت ذراعيّ وملت برأسي نحو الخلف، أغمضت عينيّ و استسلمت للتزلج، لرحلة في دهاليز الهواء البارد وذكريات في قلبي تجاورت سعيدة وحزينة.

**

تمت بحمد الله

12 فبراير 2022

الساعة: 3:46 صباحا.

قارئي العزيز،

لو أحبطتك النهاية فلا تحزن، ذيل الطاووس توقفت عند تلك النقطة لكنها تابعت العيش، تطلعت إلى محطاتها القادمة بحماس أكبر، انتظرت لوم عامل القطار لتصحح ما فعلته لو أمكنها أو تتعلم منه لو لم تتمكن، صنعت أحلاما جديدة و لم تتوقف أبدا عن البحث عن ذاتها في كل ما تفعله كطيف أحمر بين ظلال.

في الحياة لن تجد من يصفق لك مادحا إنجازتك طوال الوقت، فمن يرى الحقيقة مجردة إذا كنا نحن ذاتنا لا نراها وأحيانا لا نفهمنا، وتذكر، أفضل إنجازاتك هي تلك الصغيرة التي تواجهها وحيدا خائفا لكنك تنجو، تمر العاصفة تأخذ منك ما تأخذ وترحل، تظن أنك أصبت بالنقص لكنك تتابع،تتراكم المتاعب، الحزن، الخوف، فقدان الأحلام، الألم، وقلة الشغف لكنك تتابع، كيف لا

يعطيك كل هذا رتبة "المحارب"؟ كيف لا تحتسبها إنتصارات بل وأعظم ما فعلته يوما؟ إن لم يصفق لك أحد فهاك يداك وصفق لنفسك بحرارة فأنت تستحق، ولا تتوقف أبدا عن الأمل عندما تتطلع إلى محطتك القادمة، فقد تخذلك واحدة وتصلحك أخرى .

**

الخوف لا يمنع الموت ولكنه يمنع الحياة

- نجيب محفوظ

وجه مبتسم